مقدمة

هذه الرواية

ليست بلاعنوان

ولكنها تركت بلاعنوان لتضع أنت لها العنوان

تحكي هذه الرواية عن قصة حقيقية لعائلة نظليان

متمثلة بالجدة أم ساكو التي شرّدت من أرمينيا قبل مائة عام على يد القياييين الأتراك إلى فلسطين

والابن ساكو الذي شرّد من فلسطين قبل ثماني وستون عام على يد القياييين اليهود إلى سوريا

والحفيدة أم ساكو التي شرّدت من سوريا هذه المرة قبل عامين ونصف على يد كل قياييين هذا العالم إلى أرمينيا

فخلال مائة عام تتابع ثلاثة أجيال عمليات الذبح والتهجير و التشرّد من أرمينيا إلى فلسطين من فلسطين إلى سوريا من سوريا إلى أرمينيا

إنه ذات الذباح وذات المذبوح ولكن بسكاكين مختلفة

هذا العمل مهدى

إلى هبابيل هذا العالم ابتداءا من جدنا هابيل الذي قتل على يد أخيه جدنا قايين

الذين نحن من سلالته

إلى

كل هبابيل هذا العالم في الماضي والحاضر والمستقبل

مرورا بهبابيل أرمينيا و فلسطين وسوريا

إلى كل الذين كشاة سيقوا إلى الذبح وكنعجة صامتة أمام جازيها لم يفتحوا فاه

أشعيا7:53

ولكن بأستشهادهم فتحوا أفواه الأخرين

يرفان في 24-4-2015

في الذكرى المؤية الأولى للتغريبة والمذبحة الأرمنية

عبدالله نظليان

ملاحظة: في حال عدم الرغبة في متابعة الرواية كاملة تستطيعون قرائتها كقصص قصيرة حيث تحتوي الرواية على 90 قصة قصيرة مجموعها يشكل الرواية وعذرا للإطالة

الفصل الأول

أبو الساك في بلاد الشام

(1)

<u>الحل عند أبو ساكو؟</u>

في اذار من عام 2013 جلس أبو الحن أمام دكانه في حي الطبالة بدمشق وكان الطقس ربيعيا جميلا يحتسي الشاي وكان جاره أبو ساكو معلم الميكانيسيان الأرمني يستغل هذه اللحظة ليستريح قليلا ويدخن سيكارة مع كاسة الشاي المقدمة من جاره أبو الحن

فسأله أبو الحن: وبعدين شو حلا لهذه القصة ؟

فنظر أبو ساكو إليه من فوق نظارته السميكة وسحب سحبة عميقة من سيكارته ونفس دخان كثيفا من منخريه وقال له باستغراب: أنو قصة ؟

قله أبو الحن :مانك سامع صوت الضرب ؟

قلو : سامع

أجاب أبو الحن : وبعدين

قال أبو ساكو ببرودة أعصاب : لازم يعمل متل ماعمل أبو المرحوم

استغرب أبو الحن هذا الجواب وقال: كيف يعني؟

سحب أبو ساكو نفسا عميقا من سيكارته وأخرج دخانها من منخريه وقال: هي شغلة ضج بم كل شوية مابتحل المشكلة لازم تطلع عشرة طيارات مع بعض فوق ضيعة بهاالغوطة تم رايحة جاية فوقا حتة مايتم مخبر فيا ولايتم حجر على حجر خليه يعمل هالعملية كل يوم بضيعة وحدة بعد عشر ضيع بتتربا العالم وبتعرف الضيع التانية أنو الشغلة مو مزح وأنو الدور جاي عليا إذا مابدا تنضب

قلو أبو الحن باستغراب:وهالعالم يلي بدا تموت بهاالضيع العشرة الأولى في كتير منون أبرياء

أجاب أبو الساك:مظبوط حكيك بس مافي غير ها الحل لأنو خلي يموت أبرياء عشر ضيع ولايموت أبرياء كل سوريا

هنا وقف أبو الحن بسرعة وقال: شو ها الحل الضريطي الشغلة بدا إصلاح

سحب أبو الساك اخر نفس في سيكارته ونظر إلى أبو الحن نظرة من فوق نظارته وتأمله من أعلى رأسه إلى أسفل قدميه وكأنه يراه لأول مرة وقال بكل هدوء : أنت عم تسألني الحل هلق هي شغلة الأصلاح كان الزلمة عم يصلح هلق ماعجبون إصلاحو أو ماطولوا بالون عليه شو البديل تبعون هادا هو بديلون الخراب هلق مافي غير ها الحل وإذا بدا تبقا الشغلة على ضج بم كل شوية مابتنحل القصة أنت سألتني وأنا جاوبتك هلق إذا ماعجبك جوابي أنت حر أنا هذا رأي بالحل

وسار باتجاه محله وتابع عمله هناك

وبقي أبو الحن مذهولا وكأنه لم يستوعب الجواب

مارأيكم أيها الأصدقاء الأعزاء بحل أبو ساكو بس قبل ماتجاوبوا بدي أطرح عليكم تصور أنو ها الضيع العشرة الأولى ضيعتك هي وحدة منون وأنت وأهلك موجودين هناك

(2)

حنا وحنان والباقي للطوفان

جلس هذه المرة أبو الحن وجلس مقابله أبو الساك وجهان متقابلان أمام دكان أبو الحن

نظر أبو الحن في ساعته وقال وهو يحدث نفسه بصوت عالي: ماني مصدق إمتا تجي هالساعة وحدة ونص وروح جيب ها الأولاد من المدرسة

ثم صمت لدقائق ونظر إلى أبو ساكو الجالس أمامه وقال له : بتعرف لمابفيق ها الأولاد الصبح وباخدون من البيت وبطالعون على المدرسة بحس روحي طلعت مني ولما برجع الضهر باخدون بحس روحي رجعت إلي

ثم أضاف : ماعم أعرف شوبدي ساوي ولك مشكلة إذا خليتون بالبيت ومشكلة إذا راحوا على المدرسة والله العظيم صاير وضع ها الأولاد مشكلة مالها حل

هنا نظر أبو الساك إلى أبو الحن وهز برأسه باتجاه الأعلى والأسفل مطولا وسحب سحبة عميقة من سيكارته ثم ارتشف رشفة من كاسة شايه المقدمة دائما من صديقه أبو الحن كرشوة غير مباشرة للكلام الذي سيقوله الان: والله أنا شايف مو وضع الأولاد هو المشكلة مالها حل أنا شايف وضعك أنت هو يلي صاير مشكلة ماله حل

نظر أبو الحن نظرة استغراب إلى أبو الساك من هذا الكلام الذي قاله عنه وقال له: كيف يعني؟

أجاب أبو الساك : هلق الله يلي خلقون لها الأولاد ماخلقلون غير ها المدرسة وها البيت

فرد أبو الحن عليه : شو قصدك

فقال أبو ساكو له : قصدي أن الله يلي خلقون بيحسن يخلقلون بيت ومدرسة غير هالمدرسة وها البيت يلي عم تحكي عنون

فقال له أبو الحن معصبا منه :ولك عطيني من الأخير شو بدك تقول

فردعليه أبو ساكو بكل هدوء يلي بدو قولوا وبالمشرمحي: أنوحنا وحنان والباقي للطوفان

نظر أبو الحن إلى أبو الساك وهز برأسه يمين ويسار وتفاجأ بهذا الكلام الذي وجد فيه كل أنواع الخيانات خيانة أولا للعائلة وخيانة ثانية للجيران والأصدقاء وأخيرا وهنا الطامة الكبرى الخيانة العظمى وهي خيانة هذه الأرض وهذا الهواء وهذا الماء الذي رباه وربا حنا وحنان إنه الوطن الذي يبدو أن أبو الساك لم يعلم به بعد حتى يقول مثل هذا الكلام

وقف أبو حنا أمام باب المدرسة مع بقية الأهالي الذين حضروا لأصطحاب الأولاد وأخذ ينظر إلى البوابة رافعا بين الحين والاخر جسمه على أطراف أصابع قدميه ليتمكن من رؤية حنا وحنان بين جموع هؤلاء الأهالي وأخذت خفقات قلبه تزداد وتيرتها ارتفاعا مع تأخر ظهورهما وأخذ يدعو إلى ربه هو الذي كان قبل سنتان ونصف يضحك من كل شخص يذكر أمامه كلمة الله من قريب أو بعيد أن تنقضي هذه اللحظات بأسرع مايمكن على خير فالعام الفائت في المدرسة المجاورة استشهد أربعة أطفال عدا عن الجرحى أثناء الأنصراف

لمح أبو حنا من بعيد حنا وحنان يبحثون عنه فتقدم باتجاههم وكذلك فعلوا الأولاد وهم مملوؤين فرحا بلقاء والدهم بدأت قذائف الهاون تتهاوى على المنطقة وبدأ يسمع صوت صفيرها وانفجارها ركض أبو الحن مسرعا باتجاه أولاده وركضوا الأولاد باتجاهه والكل مرعوبين خائفين

تلاقت نظراتهم وتشابكت أياديهم ولف أبو الحن ولديه بكامل مساحة جسمه محاولا تغطيتهما بأكبر مساحة ممكنة ونام فوقهما على الأرض وشدهم إلى جسمه فعادوا كلهم جسدا واحدا كان صوت الهاون يعلو فوق صوت الجميع ولم يعد أحد يسمع أحد

في تلك اللحظة سمع أبو حنا صوتا لأول مرة يسمعه في حياته صادرا من كل جسمه من رأسه وقلبه وجسده صوتا أعلى من صوت الهاون بالاف المرات يتردد صداه في كل كيانه (حنا وحنان والباقي للطوفان ..... حنا وحنان والباقي للطوفان ..... حنا وحنان والباقي للطوفان)

(3)

ما لا تستطيع أن تقوله في العلن هناك تكون الحقيقة

جلس أبو ساكو هذه المرة أمام دكان جاره وصديقه أبو الحن على غير عادته فلم يكن ينفس دخان سيكارته وصديقه لم يقدم له كأس شايه

وجلس بجانبه أبو الحن على غير عادته التي يبقى بها مشغولا وهو يدير أمور دكانه فرجلاه في هذا اليوم لم تقدر على حمل جسمه

وفي هذا المشهد الغريب الصامت يسمع صوت أبو الحن وهو يحدث نفسه :والله العظيم أنا لما سمعت بالخبر أول شيء فكرت القصة مزح وصرت أضحك علي قلي ياها

لم يعلق أبو ساكو على الكلام بل أخذ يهز رأسه يمين ويسار وهو في حالة ذهول واستغراب

وبعد صمت عميق قال : أنا اليوم صار عندي جواب لسؤال كنت أسئله لحالي ومالا قيلو جواب وكنت حط جوابات من عندي أشكال وألوان

هنا التفت أبو الحن بسرعة الملهوف على أبو الساك وقال له :دخيل عرضك لاقيلنا حل لهذا السؤال يلي نحنا فيه الان

هذه المرة لم يكن رأس أبو الساك يهز يمين ويسار بل كان يهز من فوق إلى أسفل وبعد صمت عميق قال : أنا هلق عرفت ليش هالعالم طلعت مظاهرات رغم أنو كانت بتعرف أنو في احتمال تموت

نظر إليه أبو الحن بذهول وشعر أن هذا الرجل الذي أمامه هو في حالة هذيان ووضع يده على كتفه وهزه قليلا ليتأكد أنه صحيان وقال له : شو دخل المظاهرات بقصتنا

رفع أبو ساكو عينيه إلى أعلى ونظر إلى أبو الحن نظرة فيها الكثير من الحب والشفقة وقال : وقت واحد مابحس بوجع غيرو إلا لما بينوجع متلو وقتها عريف أنو الوجع جايي على الكل

لم يفهم شيء أبو الحن من هذا الكلام الشرقي غروي وكان كل همه أن يخرج من هذا الكابوس الذي وجد نفسه محاطا به

وعاد أبو الحن بالزمن إلى الوراء فقط خمسة أعوام هي منذ شراءه للدكان كيف جمع كل ما يملكه خلال عمل أربعين عام في العتالة وتوزيع البضاعة إلى المحلات ومحاولاته البائسة واليائسة في إقناع أصحاب الدكاكين بهذ المنتج أو ذاك وكيف أنه رغم أنه خريج جامعة بشهادة إدارة أعمال فقد وجد في هذا الدكان كل أحلامه تتحقق فقد أحب وتزوج والان عنده حنا و حنان

في هذه الأثناء كان أبو الساك الذي بلغ من العمر خمسون عام يعود إلى الوراء أربعون عاما عندما كان ولدا صغيرا يأتي مع والده إلى العمل وكيف مضى هذا الزمن كله بين والده ساكو وابنه ساكو داخل هذا المحل المبني بعرقه وعرق أبيه وعرق ابنه الممزوجة برائحة البنزين وزيت ودخان السيارات

لم يستطع أبو الساك ولا أبو الحن أن يتقبلوا فكرة الإخلاء فقد صدرت بلاغات رسمية بالأنذار بالأخلاء والهدم خلال مدة أقصاها ثلاثة أشهر والتعويض هو مبلغ زهيد من المال لايكفي لثمن بسطة في أحسن الأحوال

كانت أصوات القصف والطيران والمدافع تدوي من على بعد حي منهما فالعصابات الأرهابية المسلحة كانت قد دخلت إليه

كانت تمر من أمامهما أفواج من الناس من مختلف الأعمار يحملون مايستطيعون من منازلهم هاربين من ذلك الجحيم الذي لاعلاقة لهم به

نظر أبو الحن وأبو الساك إلى حيهما وتخيلوا الصورة بعد ثلاثة أشهر فلم يجدوا مايختلف فيها عن صورة مايجري في الحي المجاور سوى في الطريقة الأكثر تهذيبا هنا فالهدم بالجرافات والهدم هناك بالطائرات

ولأول مرة في حياتهما تمنوا أمنية لم تكن تخطر على بالهما في يوم من الأيام أن يتمنوها هم

هما اللذان وقفا مع النظام في كل شيء تمنى كل واحد في أعماقه السحيقة حيث لايصل سمع أي بشر إلى هناك أمنية خاصة به لم يقلها للاخر وهي أن يسقط النظام قبل الأشهر الثلاث

(4)

<u>أبو ساكو الحكيم</u>

وقف أبو ساكو أمام جهاز التلفاز بدكان أبو الحن يتابع مع الموجودين مباراة في المصارعة الحرة وكاد أحد المتصارعين أن يموت تحت ضربات الاخر وعم السكون المكان من قبل كل المتابعين وإذ بصوت أبو ساكو يأتي بهدوء ليطمئن الجميع :لاتخافوا كلو تمثيل

(5)

من هي الأم التي يحق لها الأحتفاظ بالطفل ؟

التي ربت الطفل وقتلته بالأخير ؟

أم الذي سُرق منها الطفل غصبا عنها ؟

جلس أبو الحن هذه المرة وجلس بجانبه رفيقه وجاره أبو ساكو اثنان لاثالث لهما أمام دكان أبو الحن شخصان صامتان لاينبث أي منهما ببنة شفة وكأن على رأسيهما الطير وبقي الصمت سيد الموقف لوقت طويل يتخلله صوت رشفة أبو الساك أو أبو الحن من كاسة الشاي وكان دخان سيكارة أبو الساك ينطلق في الفضاء خارجا من فمه وكأنه خارجا من مدخنة قطار ستقلع من محطتها بعد قليل وكان كل شيء من حولهما ساكنا لايتحرك ليضفي على هذا المشهد وكأنه لوحة ثابتة مرمية في أحدى المستودعات منتظرة عملية الشحن لجهة بعيدة

وكانت شمس شهر ايلول من عام 2013 المتقطعة بسحب من الغيوم تظهر عليهما وتختفي فتعطي شيء من الظل المحبب والشمس التي خفت شدة حرارتها معلنة بدء عملية الرحيل إلى مدار الجدي جنوب خط الأستواء

ولم يخترق جدار هذا الصمت إلا صوت أبو الحن متوجها به إلى أبو الساك قائلا له : خلص نويت تروح على أرمينيا ؟

هز أبو الساك رأسه من الأعلى للأسفل مع إغماضة في عينيه عرف منها أبو الحن أن جوابه هو الإيجاب فقال له ممازحا إياه : نيالك أنت عندك بلد تروح عليه وين بدك تتركنا وتروح

لم يفتح أبو ساكو فاه وتابع بنفث دخانه في الفضاء نظر أبو الحن هذه المرة لأبو الساك وقال له معاتبا: بس مابيصير تترك سوريا وتروح

رد أبو الساك : أنا ماتركتها بس ماعاد في حل تاني

أجابه أبو الحن : ليش ماعاد في حل تاني هلق ماعاد تعجبك سوريا ولاها القعدة

فقال أبو الساك : أنا عندي أم اسمها أرمينيا بدي روح لعندا حاجة تعبت هون ماعاد فيني لاأنا ولامرتي ولا ولدي ولا أحفادي

رد أبو الحن : هي نحن هون وتعبنا ولتعن سلافنا ما فكرنا نروح لمحل تاني ولا بس حسيت الحالة مو لصالحك صرت بدك تترك وتذكرت أنو إلك أم صرلكن هون مائة سنة ليش ماتذكرتو أنو إلكم أم غير لهلق وشو بتسمي سوريا يلي شالت جدك وستك و أبوك وأمك وشالتك أنت وخواتك وشالت عيلتك وولادك وعم تشيل لسع بولاد ولادك هي أمك ولا مو أمك وأم أمك ولك هي سوريا هي أمك الحقيقية أمك هي يلي ربتكون وطعمتكون ودفتكون وعلمتكون هلق صار عندك أم اسمها أرمينيا هلق تذكرت أنت أنو إلك أم اسمها أرمينيا بس ياعيب الشوم عليك ياأبو ساكو أنت متل واحد بعد ماشرب من البير بذق فيه وتم ماشي

رد أبو ساكو بكل هدوء واحترام لكل كلمة قالها أبو الحن: بس أنا كمان عندي أمي يلي ولدتني هي أرمينيا مو بس سوريا يلي ربتني

وليش ماتذكرت حضرتك ها الأم غير لهلق :هي معك حق فيا كان ماشي حالنا هون وكبرنا هون

قال أبو الحن : وهلق لما ماعاد ماشي الحال هون صار بدك تترك وتروح لهونيك

أدمعت عينا أبو الساك ولأول مرة شعر أن ابو الحن هذا الذي كان هو ينصحه دائما أنه لايستطيع أن يرد عليه بأي شيء فقال أبو الساك بصوت حزين : أنا إلي أم هونيك وهي إلها حق علي متل مأمي هون يلي ربتني ولها حق علي بس أمي هون ولادا عم يتقاتلوا مع بعض وعم يقتلوا أمون وعم يقتلوا ولادا معها

قال أبو حنا مستفسرا : (وليش أمك هونيك إلها حق عليك صرلكم مية سنة تاركين بعضكم لابتعرفوها ولابتعرفكون)

رد أبو ساكو : أمنا نحن ماتركتنا ولانحن تركناها نحن الغريب إجا لعند أمنا وأخد ولادا من حضنها ومن صدرها ورماهم بعيد عنها وشي قتل منن وشي شرد منن وشي سرق منن ونحن كلشي بيقيلا من يلي أخدوه منها لهذه الأم

صمت أبو الحن وصمت أبو ساكو وعاد الصمت يسيطر على المكان من جديد

ننتهي هنا من وجود أبو الساك في بلاد الشام وإلى اللقاء في

يرفان

الفصل الثاني

أبو الساك في يرفان

(6)

إلى كل الذين لايملكون غير قوت عملهم اليومي

إنها الساعة الثانية عشر ظهرا بتوقيت العاصمة الأرمنية يرفان

مضت ستة ساعات على جلوسه خلف مقود السيارة التي يعمل عليها سائق بالأجرة ومضى على وصوله إلى أرمينيا شهران منذ ايلول 2013 لم يكن في وقتها في جيبه سوى سبعة آلاف من الدولارات

وضع مصاغ زوجته في البنك كرهينة بعد أن قيم البنك هذا المصاغ بألفان وخمسمائة دولار قبض مقابلها هذا المبلغ واشترى به سيارة يعمل عليها إثنا عشر ساعة في اليوم كانت تدر له ربح صافي ألف ومئتان من الدولارات في الشهر يدفع منها مائة دولار للبنك لتسديد الفوائد لأنه لم يقبل أن يبيع صيغة أم ساكو فذكرياته الجميلة كلها موجودة فيها

ويدفع أيضا مئتان أجرة بيت

ومائة للكهرباء والماء والغاز والأنترنيت والموبايلات

والباقي ثمانمئة دولار تكفيه لاخر الشهر للأكل واللباس والدخان هو وزوجته وزوجة ابنه ساكو وحفيداه مع مايحصله من معونات بحدود ثلاثمائة دولار

لم يكن ساكو يرضى بكل هذه العيشة فلقد سافر إلى أوروبا فهناك الحضارة والقيم العليا ليربي عليها الأطفال فقد دفع سبعة آلاف من الدولارات هي ماكانت مع والداه

إلى إناس أتوه بفيز إلى أوربا ومن هناك ينكر أنه أرمني ويطلب اللجوء فالفرصة أمامه ليغتنمها فهو سوري يحق له اللجوء لتلك البلدان وترك في أرمينيا زوجته وأولاده الأثنان ليطلبهم من البلد الذي سيختاره هناك

لم يتخيل في يوم من الأيام هو ابن الخمسين أن يعود لبلده أرمينيا ويعمل بها سائق تكسي بالأجرة

ولكنه كان دائما شاكرا لربه أنه هناك بلد أعطاه جنسية واستقبله دون أي شروط وأحكام

وتذكر صديقه أبو الحن في سوريا وجلساته معه التي أفتقدها والأحاديث البسيطة التي كانا يملأن وقتهما بها

وتذكر بلده سوريا ومأأصابها من مآسي وإجرام لم يعرف شعوره في تلك اللحظة هل هو سعيد بوجوده بيرفان أم هوحزين على بلده هناك

(7)

فمحل مابتشتغل هى أوروبا فشتغل جنب أمك وأبوك أحسن ماتشتغل بعيد عنهما

رن جرس موبايل زوجة ساكو على برنامج الفيبر إنه ساكو من مخيم اللجوء هناك

حدثها عن المخيم وعن وجود السوريين والصوماليين هناك وأنه يتشارك غرفة ثلاثة أمتار بمتران مع ثلاثة أشخاص سوريين من مختلف المحافظات

كان كل من في المخيم من الرجال السوريين يربون لحاهم ويقيمون الصلاة أنهم غير السوريين الذين يعرفهم من زمان لقد تغير الجميع فالكل يتحدث عن الأنتقام من الذين هدموا بيوتهم وشردوهم لاخر البلدان

كان هو المسيحي الوحيد بينهم الذي لم ينقاد لهذه التفاهات ولكنه كان كل يوم يزداد خوفا من هذه البلدان كيف تؤي مثل هؤلاء الذين سيقيمون ويأخذون الجنسيات إنهم لايفهمون غير لغة القران منتقين منه عبارات الثأر والأجرام وأحس أن ماكان يحلم به له ولعائلته ليس له أي شيء في الواقع ولكن فقط في الخيال

وسمعهم يتحدثون عن هذه البلاد التي استقبلتهم بكثير من عدم الأحترام وأنهم فقط سيراعون القوانين حتى الحصول على الجنسيات فهذه البلاد هي بلاد الكفر ولابد لهم من إخضاعها لصراتهم ولو باالسياط فهم لايمكن أن يبقوا مع أولادهم ونسائهم بهذا الأنحلال والأنحطاط ولكن لكل وقت له ملائكته والصلاة على الرحمان

إنهم لن ينسوا أبدا أنتقامهم في سوريا هناك ولو طال الزمن عشرات السنوات فهذا حقهم الذي سلبوه منهم أولئك الأوغاد وهم يعيشون الان وسيعيشون أولادهم على أخذ حقهم بالقوة فمأأخذ بالقوة لايعود إلا بالقوة والعين بالعين والسن بالسن والبادىء أظلم

كان عدد المقيمين في المخيم قرابة الثلاثمائة فرد بين نساء وأطفال ورجال وكان المسؤولين عن المخيم قد خصصوا جزء من قاعة الطعام لإقامة الصلاة فهم أصحاب بلاد الحريات ومن حق أي شخص على أرضهم أن يقيم طقوسه ويمارس حرية المعتقدات وكانت الصلوات الخمس تبدأ مع الفجر وعلى الجميع أن يحي على الفلاح فقد كان بينهم من يؤذن واخر يخطب في المصلين وثالث يتفقد من غاب عن الصلاة

شعر ساكو أنه واقف تحت المزراب فهو لايستطيع ترك المخيم لأن هذا الأمر يتطلب الكثير من المال حتى يعطوه الجواب ولايستطيع ترك البلاد فقد دفع كل ماكان معه من أموال وزاد في الطين بلة أن لحا رفقاؤه كانت تطول مع الأيام وبدأوا بالمزاح معه لماذا هو باقي على دين الكفار

كانت الساعة التاسعة مساء بتوقيت يرفان وكانت أم ساكو تصغي لحديث ابنها على جهاز الموبايل فنادته بصوت عالي تعال قبل فوات الآوان (فمحل مابتشتغل هي أوروبا فشتغل جنب أمك وأبوك أحسن ماتشتغل بعيد عنهما)

(8)

بوسة اليوم مهداة إلى الطبيعة التي تحتضنا

أحس أبو ساكو بالأرهاق فهذا العمل اليومي لمدة إثني عشر ساعة في اليوم لرجل في عمره ليس با الأمر السهل فقد مضى ثلاثة أشهر على وجوده في يرفان وهو مداوم خلف هذا المقود الذي ينقله من مكان إلى مكان وشعر بألم في مؤخرة ظهره منذ بضع

وعاد بذاكرته إلى الوراء عله يجد فيها ماينسيه عبء هذا النهار فلم يجد في جعبته إلا ماهو محمل بالأثقال فطول حياته البالغة خمسين عام لم يتذكر أنه ذهب في رحلة للأستمتاع فكل زمانه كان يلهث راكضا لتأمين العيال والان عنده زوجة ساكو والحفيدان

وكان الوقت قد قارب الحادية عشر ظهرا واليوم يوم الأحد ففكر أن يذهب للقداس فهو لم يكن في حياته من دعاة الإيمان ولكنه أحس بشيء يدفعه للبكاء لايعرف على ماذا فحياته تسير ككل يوم كالمعتاد

أوقف سيارته عند أقرب مكان متوجها للكنيسة فسمع أصوات التراتيل تنبعث من المكان فأصغى جيدا لهذا الصوت الذي لم يسمعه منذ زمان واقترب شيئا فشيئا وولج من الباب فكانت رائحة البخور له في الإستقبال أغمض عينيه ورمى بنفسه في حضن الاب كولد ألتقى مع أبيه بعد طول غياب لم يشعر في حياته كما شعر الان هو الذي يعتبر كل عمل لاينتج مال مضيعة للوقت وللجهد وخسارة تجر وراءها الخسارات فلم يكن في يوم من الأيام مقتنعا بكل مايجري داخل هذه الصالات ولكن هنا في أرمينيا الجذور تلتقي مع الأفرع والأغصان والثمار فتمدها بماتحتاجه من طعام وماء فتسري في عروقها من جديد الحياة بعد طول غياب

وأصغى إلى إنجيل اليوم فكان عن قيامة إلعازر من بين الأموات وكيف أنه بعد أربعة أيام من الموت قام من القبر بكلمة من رب الحياة وكيف لهذه القصة أن تصدق أو أن تكتب في الأساس وأن تنتقل من جيل إلى جيل لو لم يكن لها شيء من الحقيقة وليس الخيال ومن هم هؤلاءك الناس الذين ضحوا بحياتهم ليحافظوا على هذا التراث الذي لايدخل في أي عقل أو قبان هل هم من الجدبان إنهم أجداده الذين ماتوا ولم يتخلوا عن هذه الأرض وهذا الأعتقاد ونقلوا رسالتهم له ولكل الأجيال أن المسيح هو وحده القادر على إحياء ماهو قد مات

بكى أبو ساكو لم يعرف لماذا ؟

هو الذي لم يتذكر أنه بكي في حياته فالبكاء من صفات النساء ولكن هذه المرة كانت الدموع تخرج من غير إستأذان ووجد نفسه على الأرض راكعا مع بقية المصلين في المكان لم يعد يشعر بألم ظهره ولابأي شيء من الذي كان يلم به من ضيق واحتقان وشعر أن الأرض من تحت جسمه قد التحمت فيه فلم يعد هو وإياها إثنان بل قطعة واحدة متجذرة منذ الأزل في هذا المكان

سار ببطئ باتجاه الهيكل وتناول هناك القربان الذي كان اخر مرة تناوله في سوريا عند الزواج

وقبل أن يخرج من المكان أشعل شمعة هو الذي كان يضحك كثيرا على مشعلي الشموع في الكنائس والأديرة وعلى الرهبان طلب فيها من ربه الخلاص لسوريا من هذا الطوفان

وعند باب الكنيسة وهو خارجا منه نظر إلى الأفق البعيد فلاح له جبل ارارات بحلته البيضاء يقف شامخا على مر العصور والأزمان مهما مر عليه الغادرون من الغزاة فوجد ماكان يبحث عنه منذ زمان إنها روحه المعششة في هذا الجبل منذ الاف السنوات فعرف الان أنه التقى مع ذاته بعد طول ضياع فهو مثل هذا الجبل لاينحني لأي مخلوق كان

مهداة إلى كل الفقراء

أسند أبو ساكو رأسه على مخدته ولكن النوم لم يكن يصاحبه في تلك الليلة كانت الأفكار تأخذه سريعا بين سوريا وأرمينيا ووضع ابنه ساكو

في مخيم اللجوء ولو كان هنا بجانبه ماكان الذي صار

وأدرك كعادته أن القلق يبدأيصيبه مع قلة النقود التي بين يديه فهذا العمل المضني لايغطي تكاليف الحياة هنا في أرمينيا فكل شيء هنا أغلى من سوريا بثلاثة أضعاف ومع دخول فصل الشتاء قلت الحركة في الشوارع وذهب السياح

والناس في أرمينيا لا تستخدم سوى المواصلات العامة لقد نزل دخله من ألف ومئتان دولار إلى ستمائة أي إلى النصف والتكاليف هي ثابتة وزاد عليها ثمن غاز التدفئة في الشتاء فالحرارة تنخفض ليلا إلى مادون الصفر ولايمكن الجلوس بالبيت بدون إشعال الدفايات

أعاد حساباته مرة أخرى مئتان دولار أجرة البيت وأصبحت فاتورة الغاز لوحدها مائة دولار ومائة أخرى للماء والكهرباء والنت والموبايلات فيبقى معه مئتان من عمله عليه أن يدفع مائة دولار للبنك لقاء فوائد الدين الذي أخذه واشترى به السيارة فلن يبقى معه سوى مائة دولار من عمله وثلاثمائة من المساعدات أي أربعمائة دولار يجب أن تكفيه لاخر الشهر وهذا من شبه المحال في يرفان

فقرر قرارا لم يكن يحب أن يتخذه في يوم من الأيام ألا وهو أن تقوم أم ساكو مع كنتها بعمل من الأعمال وماذا تستطيع هاتان المرأتان أن تعملان فهما ليس لديهما أي متسع من الوقت سوى الأهتمام بالبيت ومايستلزمه من متطلبات

ولكن ليس هناك حل اخر فيبدو على الجميع أن يعمل في هذه البلاد وفكر وفكر كثيرا ولكنه لم يجد أي نوع من أنواع العمل يناسب مقدرتهما وقبل حلول الفجر أعياه النعاس فنام من دون الوصول إلى أي جواب

كان عليه أن يستيقظ في السادسة صباحا فأم ساكو تكون قد حضرت له القهوة وهذه عادة قد درجا عليها من أيام الحب الأولى في بيت أحماه حيث كان يظل ساهرا عندهم حتى حلول الصباح فيشرب القهوة من يديها قبل أن يفيق عمه ويعلم أنه مازال عندهم سهران

كانت رائحة القهوة تملأ المكان وتنذر النائمين بالقيام ورغم تعب أبو ساكو الشديد إلا أنه لايستطيع أن يتخلى عن هذا العرف في يوم من الأيام صبت أم ساكو القهوة في فنجانيهما ورشفت شفة من فنجانها تدعو من خلالها أبو الساك لأن يبادر معها هذا الصباح طقسهما

كانت أم الساك هي الوحيدة التي تفهم أبو ساكو من دون أن يتكلم فقرأت فيه ذاك الصباح ماكان يشغله في ذاك المساء فقالت له: (عم مل طول ها النهار أنا وها البنت ياريت نلاقلينا شي شغلة نحسن نشتغلا مع بعض) لم يصدق أبو ساكو أذناه وشعر أنه في حلم ولم يستيقظ بعد من الفراش فنظر إليها نظرة كلها إستغراب وقال لها : (متل شو ها الشغلة) ردت أم ساكو بكل ابتسام وقد أدركت أن ماكان يشغل بال زوجها هو فقر الحال:(يعني أي شغلة بتساعدنا شوي على تمشاية الحال) ضحك أبو ساكو وقال : (دهباتك ورهناهون شو لسع بدنا ناخد منك) ضحكت أم الساك وقالت : (ماأنت من يوم ماهديتني ياهون وأنت بتقول لي هدول مو هدية إلك هدول مطمورة ليوم من الأيام) ضحك أبو ساكو وقال : (والله يلي أنا شايفوا هلق أنو موهنن المطمورة ليوم من الأيام أنت المطمورة إلي لكل الأيام) رشفت أم ساكو ماتبقى من فنجانها وابتسمت وقالت : (هذا الكلام كنت لازم تقولوا إلي قبل ماننام هلق بيفيقوا الأولاد وصار لازم توصلون على المدراس)

شعر أبو ساكو في ذلك الصباح بارتياح ونشاط لدرجة أنه كان طول النهار يستمتع بقيادة سيارته ويسمع كل الوقت أغاني الحب والغرام متحمسا لقضاء الليلة القادمة مثل تلك الليالي التي لم يقضيها منذ زمان

(10)

مهداة للذين يشكرون وليس للذين ينكرون

وجد أبو ساكو نفسه بعد مرور أكثر من ثلاثة أشهر في يرفان أن مثله مثل الذي يلحس المبرد فكل هذا التعب والأعياء لايسد رمق واحد من العيال وتذكر ابنه ساكو أين هو الان ؟

ولماذا ليس معه الان ؟

ولماذا يربي الواحد أولاده ليتركوه عندما تقتضي الأحوال ؟

أوقف سيارته جانبا فلم يعد يستطيع الرؤية فقد كان يجهش باالبكاء أنه يريد ابنه ساكو فقد رباه كل هذه الأعوام ليراه معه بجانبه يقفان سوية في وجه الزمان الذي أصبح في هذه الأيام لايرحم أحد من الناس لا ليكون متسولا لاجئا لأحد الدول في أقصاع البلاد

لم يعرف أبو ساكو على ماذا كان يبكي؟

هل على فشله في تربية ابنه حتى تركه وذهب وراء المغريات؟

أم على هذا البلد أرمينيا التي لم تستطع أن تطعمي الأولاد؟

أم على سوريا التي تركها وهي ليست باأحسن حال؟

أم على هذا العمر الذي ضاع وهو ينتظر منه المحال؟

استطاعت أم ساكو أن تشق عمل لها وهو صناعة المخللات وكانت منذ الصباح الباكر بعد شرب قهوتها يوصلها أبو ساكو على سوق الفلاحين القادمين من قراهم ليبيعوا ما أنتجت أرضهم دون المرور على التجار

تشتري منه حاجات البيت وكل ماتراه مناسبا في موسمه لتصنع منه أفضل المخللات

كان سر النجاح عند أم الساك في صناعة المخللات شيئان لايستطيع أحد في كل أرمينيا ولا خارجها أن ينافسها فيهما هما السعر والطعم والقانون الأزلي لكل نجاح مهنة هو سر المهنة وفي المخللات سر المهنة هو أنها لاترتخي مع مرور الأيام مثل بقية الأشياء (بلا معنى ياشباب) إنه أحد أسرار أم ساكو التي ستكشفها لأبو ساكو في يرفان

(11)

مهداة للنشطاء وليس للمصابين بالأكتئاب

لم يعد أبو ساكو يخرج إلى عمله في الصباح ولم يعد يخرج ليس فقط إلى عمله بل من غرفته هي الأخرى بالذات

كان كل شيء من حوله يشعره بالعزلة والأكتئاب ولم يعد لديه رغبة لأي شيء ولامعنى لكل ماحوليه كان يردد دائما اسم ولده ساكو يريد أن يراه

فقد تعب من هذا العمل في يرفان الذي لم يجد فيه سوى عبارة عن إنتحار بطيء على مدى الأيام هو الذي بلغ من العمر الخمسين عام إلى الان

وشعر أن كل شيء يفارقه من ابنه إلى صحته إلى وجوده في بلاد الشام إلى صديقه أبو الحن وكاساته من الشاي

كانت أم ساكو تدير الأمور في يرفان فمنذ الصباح الباكر في السادسة بالتمام تنطلق إلى سوق الفلاحين القادمين من الأرياف الذي سيغلق حتما في الثامنة أي فقط يفتح لمدة ساعتان لأن المكان المشغول هو ساحة تابعة لبلدية يرفان يمنع فيها الوقوف والأشغال

تشتري منهم منتجاتهم من فواكة وخضار ومن ماصنعوه ممارزقهم الله من أرضهم المعطاء

وتعود إلى محلها الذي أستأجرته بمايعادل مائة وخمس وعشرون من الدولارات تدفعها كل رأس شهر لمسؤول البلدية عن الإيجارات

كان محلها في مركز مدينة يرفان داخل نفق المترو بعرض واجهة ثلاثة أمتار وعمق متران وبدأ كل الأرمن السوريين بالتكلم لبعضهم عن رخص بضاعة هذا المحل وعن جودة المشتريات فليس هناك داعي للإستيقاظ الباكر والفتل في سوق الفلاحين المكشوف للسماء فأم ساكو هي تعرف كيف تتسوق وربحها ضئيل يغني عن التعب والزمن الضائع هنا أوهناك والمواصلات رخيصة في المترو ومافي داعي للتنقل بالسيارات

كانت الكنة زوجة ساكو هي المسؤولة الان عن إيصال وأخذ الأولاد من وإلى المدرسة التي لم تكن تبعد كثيرا عن سكنهما

وعلى إعداد الغداء وترتيب الدار

كان هذا العمل الجديد على أم الساك يجلب لها المتعة قبل المال فقد شعرت لأول مرة في حياتها أنها تسير على رجليها لوحدها دون الأعتماد على أحد سواء أكانوا فيما مضى والدها أو زوجها أبو الساك المطروح في فراشه الان

كان كل شيء من حولها يعطيها السعادة والفرح والأطمأنان بعكس تماما مايحصل مع بطلنا أبو الساك الذي عند الحزة واللذة راح طريح الفراش

كان عملها يكبر مع الأيام فرقم موبايلها انتشر بين الأرمن العرب في يرفان ودكانها بدأ يمتلأ من كل المتطلبات وزبونها لم يعد يقصد باقي المحلات فلديها كل مايحتاجه من بقاليات

(12)

مهداة هذه المرة إلى أبو ساكو لأنو حرام كمان

بدأ أبو الساك يستعيد عافيته ويعود له المزاج بعد أن رأى أن نسوان البيت هما من يديرا الأحوال ولم يعترضا عليه عندما كان دائما نعسان فقد احترما ماحصل له لأنهما يعلمان أنها أزمة عابرة وستمر عليه وتنقضي بعد أيام فأبو ساكو معروف أنه حنون ولايقدر على غياب الأحباب

كان حب أم ساكو لأبو الساك من النوع الصامت الغير متطلب لأي طلبات فخلال كل هذه العشرة معه عرفت أنه هو طفل بشكل رجال

كانت أم الساك قد طلبت من أبو ساكو أن يبيع السيارة إذا هو لن يعود يعمل عليها كما كان وعندما سألها أبو ساكو ما البديل عندك من أفكار فقالت: سأفتح محل لبيع البقالة والخضار والفواكه في يرفان

ضحك أبو ساكو وقال : ولكنك في حياتك لم تعملي عمل ما

فردت عليه: هذا لأنك لم تنطرح في الفراش حتى الان

فلم يكن عند أبو ساكو بديل سوى الأنصياع لمنطق النسوان

باعوا السيارة بألفين من الدولارات خسروا فيها خمسمائة دولار أي مايعادل عشرين يالمائة من ثمنها و هكذا بدأت أم ساكو بمشروعها في فتح الدكان

كان وقت العمل قد توزع عليهما أم ساكو مستلمة التسوق وفتح الدكان من السادسة صباحا حتى الثانية عشر ظهرا يستلم من بعدها أبو الساك حتى التاسعة من كل مساء

كانا يسجلان مايطلبه الزبائن إذا لم يكن في الدكان لتقوم أم الساك بتأمينه في صباح اليوم التالي من سوق الفلاحين

كان أختيار موقع المحل في وسط يرفان داخل محطة الميترو قد ضربت فيه أكثر من عصفور إلى الان فهو سّهل عليها التنقل من البيت للتسوق للمحل كله عن طريق هذا الميترو وبأرخص الأسعار هذا كان العصفور الأول

أما العصفور الثاني فهو تنقل الزبائن مباشرة في الميترو لعندها والعودة من هناك دون طلب تكسي أو المرور تحت السماء في الصيف أو الشتاء

أما العصفور الثالث فهو رخص الأجرة مقارنة مع مايماثله فوق على الطرقات لذلك كان المحل مقصود من نوع معين من الزبائن هم الأرمن السوريين الذين فروا من الحرب السورية إلى مكان فيه الأمن والأمان بأقل كلفة من باقي البلدان

رغم بدايات النجاح المتواضع والعمل الدؤوب من قبلهما لم يكن المحل يغطي كثيرا لمصاريف البيت في يرفان فقد كانت سياسة أم ساكو هي الربح القليل وجودة البضائع وسرعة الخدمات هذه الثلاث مفاتيح هي برأيها سر النجاح حتى يقتنع الزبون أنه ماله بديل عن محل أم ساكو في كل يرفان

(13)

مهداة لكل النشطاء

مضى على وصول أبو ساكو إلى يرفان قرابة السنة والشهران ونحن الآن في تشرين الثاني 2014 ولكنه كان يشعر وكأنها أكثر من كل عمره الذي قضاه في بلادالشام والتي بلغت خمسين من السنوات

لم يستطع أن ينسى يوما واحدا بلده سوريا ومايحدث فيها من مآسي وأحزان ولم ينسى عمله ومادر عليه من أموال ولم ينسى ابنه ساكو الذي تركه وذهب إلى بلاد الأروبيان

كان كل يوم يمر عليه في يرفان يجتر الماضي ومافيه من فرح وذكريات ولم يعد يعرف أين هو بالضبط هل هو في الشام أم في يرفان؟

على عكس تماما ماكانت تعيشه أم ساكو التي وجدت في أرمينيا مكانا ليسرح بها الخيال

مهداة إلى الذين يصابون بالأكتئاب

كان أبو ساكو يعرف سبب إكتئابه ويعيه بالتمام إنه بأختصار قلة المال فهنا في يرفان الكل يشكي الحال وليس هناك قوة شرائية إلا للقليل من الناس الذين لايرتادون مثل محلهم بل يذهبون لمحلات الماركات

والأرمن السوريين يحسبونها كثيرا في سوريا فمابالك الان وهم مهّجرين في يرفان

كان المحل يادوب يغطي الحال فالأرمن لايشترون إلا مايقيت الحال وأغلبهم يصنع في مطبخه كل مالذ وطاب فأم ساكو لايشترون منها إلا القليل القليل مما هم يحتاجونه ولم يشاهدوه في الأسواق

لم يكن هذا الوضع يثني من عزيمة أم ساكو بل كان يزيدها بالقوة والأصرار في التغلب على كل مايواجهها من الصعاب فهي تعرف تماما بني جلدتها ومايفكرون به في وقت السلام فمابالك الان في وقت الصعاب

كانت أم ساكو وخلال سنة من تسوقها في سوق الفلاحين قد تخطته لباقي الأسواق وعرفت أن سر النجاح هو بالمسواق (أي شراء الأشياء بالجودة العالية وبأقل الأسعار) واكتشفت حقيقة مرة لم تكن تتخيل أن تحدث هنا وبيرفان حقيقة يسّود لها الجبين من كثرة فجاعتها وكبرها ولايمكن أن تقال ألا وهي أن أرمينيا تأكل وتلبس وتشتري من مايأتي إليها من بلاد الأتراك ولاأحد يبالي فالمهم عند الكل رخص الأسعار وتأمين الحاجات

مهداة للذين عندهم مبدأ ولايغيرون مواقفهم مع تغير الحاجات

وصلت أم ساكو في تجارتها إلى مفرق طرق بنظر الآخرين أو إلى طريق مسدود بالنسبة لها فإذا أرادت الاستمرار بتجارتها فلابد لها من التسوق من بضاعة الأتراك لأنه لايوجد منافس لها في يرفان

كان هذا القرار بالنسبة لأم ساكو من سابع المستحيلات أن تتبضع من منتجات قد لمسها الأتراك فصورة ستها أم أمها وهي تقص لها وهي صغيرة ماصنع بها وبأهلها الأتراك لم تكن تفارق مخيلتها على طول الأيام

وسألت نفسها سؤالا لم تعرف جوابه إلى الان هل من يشتري ويبيع من بضاعة الأتراك هو حقيقة أرمني أم هي متخلفة في تفكيرها تعيش في عالم من الخيال؟ فقانون البيع والشراء لايخضع للعواطف والتاريخ والأجداد

لم تعرف ماذا تصنع أم ساكو هل تتخلى عما زرع فيها من أفكار أم تمشي مع السوق وتقول ماشي الحال وخاصة بعد أن تورطت في كل ماكان معهم من أموال؟

(16)

مهداة للذين لاييأسون في البحث عن الحقيقة

سألت نفسها أم ساكو سؤال سيقودها إلى مالا يحمد عقباه هذا السؤال هو لماذا البضاعة التركية لايوجد منافس لها في يرفان؟

فكان الجواب: إن الجمارك المفروضة على بضاعة الأتراك هي أقل من أي جمارك بضاعة أخرى تدخل إلى بلاد الأرمنيان

والسؤال الثاني : لماذا يسمح بدخول بضاعة الأتراك إلى يرفان؟

الجواب : لأن أرمينيا تحكمها المافيات

والسؤال الثالث: أليست هذه المافيات أرمنية ولاتهتم من التعامل مع الأتراك؟

الجواب: لا أحد مهتم لامنهم ولا من كل في أرمن بيرفان المهم مشيلي يومي ولو كان من الشيطان

ماذا ستفعل أم الساك بهذه الحالة برأيكم ياقارئي البوسات والبوستات

(17)

مهداة إلى كل المغفلين في هذه الأيام

عادت أم ساكو إلى محلها وأحصت مالديها من بضاعة وماكانت قد اشترته من السوق في يرفان لتكتشف أن أكثر مالديها هو من أساس تركي وليس من أهل البلاد

لم تعرف ماذا تفعل ولم تعي ماأصابها فرجليها لم تعد قادرة على حمل جسمها فتكأت سريعا على الحيطان ولم تكن تدري أين الغباء فيها أم في ماوثقت بهم من ناس بسطاء فلم يخطر على بالها أن تسألهم من أين أتيتم بهذه المواد فهم لم يكونوا فلاحين يأتون بمنتجاتهم من أرضهم بل كانوا تجار صغار يشترون من سوق اخر ويبسطون فيه في سوق أطلق عليه سوق للفلاحين الفقراء في يرفان

أسودت الدنيا كلها في وجه أم الساك وشعرت بالقرف من كل ماهو آت فلم تعد تطيق لامحلها ولانفسها ولايرفان.

(18)

مهداة إلى أرض أرمينيا

لم تستطع أم ساكو أن تستوعب الصدمة التي تلقتها منذ أيام فرأسها يألمها وجسمها كمان لم تكن تتوقع ماحدث معها أن يحدث لها وأين في يرفان عاصمة الأرمن على مر الأزمان

وسألت نفسها سؤالا وجدت جوابه هذه المرة والسؤال يقول: أين راحت دماء أهل جدتي إذا كان الأحفاد الأرمن الان يشترون ماينتجه أحفاد الأتراك ؟

والجواب كان لديها الدماء لاتروح ولاتجي إنها في الأرض التي سقطت عليها باقية على طول الأيام لايستطيع أحد أن يزيلها فهي متشربة إلى أعماق أعماق الوجدان

هذا صحيح إذا كان بقي شيء اسمه وجدان عند من يتعاطى من الأرمن مع كل مايمت من قريب أو بعيد للأتراك

وبعد فالمشكلة ليست في الذين استشهدوا ولا في الذين تعاطوا مع الأتراك المشكلة هي في مامر على هذه الأرض من قهر وظلم وقتل واستعباد حتى أصبح كل واحد عليها لم يعد يرى أكثر من نفسه من كثرة الخوف والأرهاب

صحيح أن أرمينيا استقلت وتحررت منذ أكثر من ثلاث وعشرين عام إلا أن الألم والخوف مجتمع معهما الفقر لايزولان بهذه السرعة من العباد

هذا كله صحيح عند أم الساك ولكن لاأحد يستطيع أن يعطيها مبرر لتعامل الأرمن مع الأتراك سوى غير مبرر واحد أن هؤلاء ليسوا أرمن وإن كانوا ولدوا من أجداد وأباء أرمن وعلى هذه الأرض التي تدعى أرمينيا فهم ليسوا أرمن فالأرمني لايوجد في قاموسه شيء اسمه الخيانة لأي شيء كان

فمابلك لدماء من لم يتخلوا عن دينهم وأرضهم ليوصلوا رسالة لهؤلاء الأحفاد مفادها أننا أرمن ولانرضى غيره على كل الخيارات

(19)

مهداة إلى الأرض التي تمدنا بالحياة

أدركت أم ساكو أن دورها في هذه الحياة يجب أن لايكون كالثمار التي تعيش لموسم واحد فقط مهما كانت لذيذة ويانعة في العطاء بل كالجذور التي لاتظهر للعيان ولكن بدونها كل شيء فان

أغلقت أم ساكو دكانها في مترو الأنفاق وأعادت كل مااستطاعت إرجاعه إلى الأسواق بخسارة بلغت ألف وخمسمائة من الدولارات وحصلت على خمسمائة دولار من رأس المال الذي كان في الأساس ألفين دولار هو كل ماكانوا يملكونه في يرفان

وشعر الأثنان أبو وأم ساكو أنه ليس هناك مزح لدى الأرمن في يرفان فأما أن تناطح الثيران بدون أي مبدأ أو أخلاق أو تقفل راجعا من حيث أتيت مهما كانت تلك البلاد

ولم يعد لديهما شيء يملكونه أو شيء يخسرونه هنا في يرفان فأما المضي قدما أو العودة إلى بلاد الشام خياران أحلاهما مر فلايمكن الوقوف هنا فالأرمن لايرحمون الأحياء فمابالك الأموات

كان أبو ساكو لايخرج أبدا من دوامة الماضي والوقوف على الأطلال فساكو وعمله وبلاد الشام نقاط ثلاث في مراكز دوائر لاينفك عن الخروج من واحدة ليدخل في الأخرى ويعاود من جديد الدوران

بينما أم الساك كانت تنظر للبعيد ولاشيء يستطيع أن يقف سيرها إلى الأمام ولكن ماذا تستطيع أن تفعل بعد كل هذه الضربات على الراس ؟ هل تخر ساجدة من كثرة الألم أم تصحى مماهي فيه وتستفيد من الأخطاء

كان الوقت يمر سريعا عليهما فخمسمائة دولار وثلاثمائة من المساعدات لن تكفيهما لمنتصف الشهر فأجرة البيت وحاجاته من أكل وكهرباء وتدفئة كلها أشياء لايمكن الأستغناء عنها وهي بالأنتظار

أعادت أم ساكو حساباتها وضربتها ذات اليمين وذات الشمال فكل الطرق مقفولة في وجهها ولابد من معجزة من الرب الخلاق ليحل ماهم به من وصول الحال

كان لدى أم ساكو ثقة بشيئين لايمكن أبدا أن يخونان هما حب المسيح لها وأرض أرمينيا التي تقف عليها الان

فهذه الأرض التي ضحت بثلثي أولادها قبل مائة عام ولم يغيروا فيها دينهم من المسيحية إلى الإسلام ولم يتنازلوا عن كونهم أرمن بأي شكل من الأشكال بل وقفوا في وجه كل أشكال الموت بأجسادهم العارية من كل مايمكن أن يسترها في وجه الجلاد دون أن تنحني أو تستسلم للأقدار واقفة مرفوعة الراس لتقطع دون خوف أو إنحناء

هذه الأرض التي أنجبت في يوم من الأيام مثل أولئك الناس لايمكن أبدا أن تكون أرض لايمكن الأعتماد عليها بأي شكل من الأشكال

ومن كثرة التفكير والتعب غلب النعاس عليها وهي مستلقية تحت صورة القديسة آنا التي جلبتها معها من بلاد الشام

(20)

مهداة إلى القديسة انا

استيقظت أم ساكو على جلبة وصوت أحفادها أولاد ساكو وهم يهمون بالذهاب للمدرسة حيث كانت أمهم تهتم بأمرهم كل صباح ونظرت أمامها إلى صورة القديسة آنا تنتظر منها جواب فكان جوابها كالمعتاد واحد زائد واحد يساوي اثنان ونظرت ام ساكو كعادتها بالصورة وأمعنت فيها وقالت في نفسها لم يبقى هناك واحد أو أي شيء لدينا لنجمعه أو نطرحه فنحن أصبحنا أصفار إلى الشمال

واغمضت أم ساكو عينيها واستسلمت لجواب اخر ما يأتيها من قلب هذه الصورة التي لاتلجأ إليها إلا في أضيق الحالات ولكن لم يكن هناك سوى جواب واحد ألا وهو (واحد زائد واحد يساوي اثنان)

وتذكرت أم ساكو سريعا ليلة البارحة وماكان لديها من واحدات نعم لديها أرض أرمينيا رقم واحد ولديها حب المسيح لها رقم واحد أيضا ومجموعهما يعطي اثنان

شعرت أم ساكو بنظرة القديسة آنا تدخل فيها إلى الأعماق وتحررها من كل نقص أو قيد يعيق تفكيرها أو نشاطها أو حركتها إلى الأمام وزال عنها خوفها من المستقبل ومن نقص المال وأحست بقوة تحملها إلى مئات الكيلومترات لتضعها في أرض مليئة بسنابل القمح الذهبية تسطع فيها شمس لم ترى في حياتها مثل هذا النور الوهاج وهي تقف في وسطها تحمل منجلا تستعد به للحصاد أنها أرضها وهذا قمحها و لا خوف من الجوع بعد الان

(21)

مهداة إلى أرض أرتساخ

أرتساخ هو الأسم الأرمني للأرض الواقعة بين أرمينيا وأذربيجان ويطلق عليها اسم أيضا ناغورني كارباغ عند غير الأرمن

وأرتساخ هي كلمة أرمنية مؤلفة من كلمتين الاولى (ارا) والتي تعني إله الشمس والثانية (تساخ) التي تعني الكرمة أي أرتساخ تعني بالأرمنية إله الشمس والكرمة وفي المسيحية هما كلمتان لمعنى واحد هو المسيح وقد استمد هذا الأسم عبر التاريخ ومن قبل المسيحية من طبيعة هذه الأرض الخيرة والمعطاءة وهل هي صدفة في تطابق معناها مع لقبي المسيح

ماقصة هذه الأرض ولماذا أقحمت الان في سياق قصتنا عن أم الساك

هذا ماستتابعونه في الأيام المقبلة بإذن الله

مهداة إلى سنابل القمح التي أطعمت البشر دون تمييز على مدار الأيام

كانت أم ساكو تنظر دائما إلى نصف كأسها الملان بعكس أبو الساك الذي كان لايرى لاكأس ولاكل المشتقات من هذه التسمية بالذات فتراه قد طالت ذقنه وراح يقضي معظم وقته بالنوم ومتابعة الأخبار ولم تعد نفسه تقبل الأكل ولاأي شيء من ممايمتع الرجال وكان دائما صامتا لايكترث لشيء إنه داء فقدان المال الذي يسبب معه كل حالات الأكتئاب وفقدان المعنى والتحكم بالذات

ووجدت أم ساكو في نصف كأسها الملان أنه ليس هناك بعد شيء تخسره فلم يبقى شيء في هذا النصف كأس فقد بلغت من العمر الان قرابة الأربعين عام وكل صباها وجمالها وقوتها صاروا في نصف الكأس المملوء بالفراغ ولكن بقي لها في هذا النصف الملان ماتبقى من عمرها مع حلم كانت تحلمه من زمان ألاوهو أن تموت وتحكي عنها الأجيال القادمة لأولادها قبل أن تنام أنه كان هناك إمرأة عاشت على هذه الأرض لتحقق حلم جدتها التي كانت ترويه لها قبل أن تنام وهو العودة إلى أرضها قبل أن تموت لتركب الخيل وتسرح به في تلك السهول والجبال والوديان

كانت أم ساكو قد أتخذت قرارها بالذهاب إلى أرض أرتساخ فكل الأرمن في أرمينيا والأرمن السوريين والأرمن في العالم ليس هناك أحد يتجه إلى ذاك المكان فالكل يبحث عن الطرق السهلة المؤدية للمال وهنا تكمن المشكلة ليس عند الأرمن فقط بل عند كل الناس بعكس ماكانت تجده أم ساكو أن الحصول عن أعلى المنجزات يتطلب أكبر المجازفات

تبلغ مساحة أقليم أرتساخ 11,500 كيلومتر مربع يسكنه قرابة 150,000 نسمة أخذ استقلاله في عام 1994 بعد حرب بين الأرمن والأزربيجان استمرت ستة أعوام من عام 1988- 1994 راح ضحيتها 20,000 شهيد أرمني و40,000 شهيد من الأذربيجان عاصمته ستيباناكيرت وبين الحين والاخر تحدث مناوشات على الحدود يذهب ضحيتها بعد الجنود من هنا وهناك ولكن بالنسبة لأم ساكو التي عاشت الجحيم السوري لأكثر من عامين ونصف أصبح لها هذا الكلام سبب للضحك أن الناس تخاف أن تتجه لذاك الأتجاه

وسبب اتجاه أم الساك لذاك الأتجاه هو أن حكومة الأقليم كانت تقدم للقادمين إليها مسكنا مجاني مع قطعة أرض مع كافة التسيهلات لتشجع الأرمن على القدوم والأستقرار فمساحة الأرض كبيرة جدا وخيرة ولايوجد عليها أحد من الناس إنها أكبر من مساحة لبنان ولايقطنها سوى 150,000 من السكان والذي شجع أم ساكو أنه هناك 30 عائلة أرمنية سورية قد سبقتها إلى هناك

(23)

مهداة إلى كنائس يرفان

استيقظ أبو ساكو على غير عادته في مثل هذه الأيام من صباح يوم الأحد على صوت جرس الكنيسة القريبة من المكان فقد كان الفجر قد جعل كل شيء بلون فضي في يرفان

لم يكترث للموضوع كثيرا فدار بجسمه داخل فراشه وغط من جديد في نومه وفي عالمه الخاص

وعاد جرس الكنيسة يطن من جديد في كل الحي فالشمس قد سطعت على كل يرفان

نظر صاحبنا أبو الساك من تحت فراشه الدافئ إلى شباك غرفته المطل على الأفق البعيد فشاهد منظرا تعجب كيف لم يكن يشاهده منذ زمان إنه صديقه جبل ارارات مكسي بالثلج الأبيض وقد سقطت عليه أشعة الشمس فردعليها بلمعان ذهبي يصدر منه هنا وهناك كقطعة جميلة من الذهب المصاغ من يد فنان أرمني من قديم الزمان

تمعن في هذا المشهد الذي لم يدعه يعود ينام مثل كل الأيام واحس كأن الجبل يسير نحوه إلى الأمام فالجبل عبارة عن جبلين بجانب بعضهما واحد أقصر من الاخر إنهما مثل القدمين عندما يسيران بالجسم إلى الأمام فقدم تثني ركبتها فتقصر عن الأخرى ممايؤدي إلى ميلان الجسم للوقوع للأمام فتسارع القدم الأخرى بثني ركبتها وهكذا يسير الجسم إلى الأمام

ووصل الجبل أخيرا لشباك غرفته ولم يجد أبو ساكو سوى بجسمه قد أصبح فوق هذا الجبل وأصبح الجبل بالنسبة له قدماه

انسل أبو الساك بهدوء من فراشه دون أن يصدر أي حركة من هنا أو هناك حتى لايوقظ أحدا فاليوم عطلة والجميع نيام ولبس ثيابه وسار باتجاه مصدر الجرس الذي مازال رنينه يطن في أذناه

كان أول الواصلين من الناس جلس في اخر مقعد في الكنيسة وفتح الأنجيل الذي رآه أمامه لاعلى التعيين ليقرأفيه ريثما يبدأ القداس فقرأ مايلي من انجيل القديس لوقا الفصل 17 الاية 6 : (فأجاب الرب : لو كان لكم إيمان مقدار حبة من خردل وقلتم لهذه الجميزة: إنقلعي وانغرسي في البحر ,لأطاعتكم)

أحس أبو ساكو وكأن المسيح يتحدث معه هو بالذات لم يعرف ماذا يفعل سوى أنه بدأ يجهش بالبكاء بكى وبكى وبكى كانت الدموع تنهمر من عينيه لايعرف من أين تأتي هذه الغزارة وهذه الدموع بالذات وكأن كل دموع حياته التي لم يبيكيها قد تجمعت كلها إلى الان وسقطت كلها مع بعضها فالفرصة أمامها لاتتكرر في كل وقت وكل مكان

استرجع شريط حياته من الألف إلى الياء فوجد أن يديه فارغتين من أي شيء قد يمسك بهما فلاعجب في ذلك فهو لم يزرع شيئا في حياته ليحصده ويجمعه في راحتاه فهو كل مافعله في حياته من أيام أجداده إلى أبيه إلى الان أنهم جميعا مثلهم مثل هذه الجميزة

الشاطر يقلعهم من مكان إلى مكان فجده قلعوهه من أرمينيا وأبوه مع جده قلعوهم من فلسطين وهاهو الان مقلوع مع عائلته من سوريا إلى يرفان

ابتدأ القداس على أصوات التراتيل وزحمة الناس ورائحة البخور تعبق بالمكان وبقي صاحبنا أبو ساكو متسمرا في كرسيه مغمض العينين سارحا في ملكوته الخاص وسأل نفسه سؤالا: أليس عندي إيمان بقدر حبة الخردل حتى أنا لاأستطيع أن أنقل نفسي من هنا إلى هناك فأنا كالعاجز دائما طريح الفراش؟

فكان الجواب: ليس عندك شيء لاإيمان ولاغير إيمان كل ماعندك هو خمسين عاما وهي كل حياتك قضيتها في إرضاء تلك وهذه الان

كانت تلك هي أمه وكانت هذه الآن هي زوجته أم الساك

فأمه ماتت غير راضية عليه لأنه ابتعد عنها من بعد زواجه بناء على تعليمات أم الساك ووصته أمه وهي على فراش الموت أن لايدفنوا كنتها أم الساك بالقرب منها مع أنه هي أمه من أنتقتها زوجة له في يوم من الأيام

وعمل جاهدا من بعد زواجه كل يوم لإرضاء أم الساك ليحظى منها ولو بنظرة تبل ريقه العطشان فكان دائما جوابها له ضاع عمري من يوم ماتعرفت عليك إلى الان

ووجد نفسه الان غير راضية عنه فخسر بذلك أمه وزوجته وخسر ذاته بينهما

صدحت المرتلة بصوتها العميق ترتيلة مطلعها (منك الرحمة) فأعادت البكاء من جديد إلى أبو الساك وردد معها في أعماقه (أرحمني يارب فأنا تعبان , أرحمني يارب فأنا تعبان , أرحمني يارب فليس لي سواك)

وبقي يردد معها في سكون نفسه وتذكر أنه رددها في يوم من الأيام عندما كان في الشام منذ زمان وحدثه الرب وقتها أنه لامشكلة لديه ولاتعب عنده سوى عدم قدرته على الحصول على المال ووعده الشخص الذي حدثه وقتها وهو تمثال المسيح في الكنيسة أن سيعطيه المال وكان له ماأراد بعد عدة سنوات فقد توفق في عمله وكان المردود عليه أضعاف ماكان يحلم به في يوم من الأيام

لم يكن يريد المال هذه المرة أبو الساك بل كان يريد الخلاص من هذا العذاب المتمثل بثلاثية المال والنساء والخوف من فقدانهما لأن حدود حياته كانت تقف من خلفهما لاتستطيع تجاوزهما فهو في سجن بلاحيطان غير محدود الزمان والمكان

إنه مسجون في أعماقه في غرفة بشباك لاتطل إلى على حريم السلطان مقيدا بيديه ورجليه بسلاسل من ذهب كل همه طول حياته الخوف من أن يفقدهما

فلايوجد في زنزانته لاحبوب خردل ولا ماأتى على ذكرهما فلا شيء ينبت في هذه الزنزانة المعتمة من أي نوع من أنواع الحَب والحُب أو مابينهما

بل يوجد شيء واحد فقط هو الخوف من فقدان الذهب ومعه سيفقد شباكه المطل على الحريم وسيفقد مكانته كسلطان

قام أبو الساك ومشى باتجاه الهيكل ليتناول القربان وهو لأول مرة لم يعد يسأل أحد عن شيء ما فهو قد رضي بماكتب الله له في هذه الدنيا من فقدانه للإيمان

وضع الكاهن في فمه قطعة من الخبز الممزوجة بنبيذ القداس شعر فيها تذوب في كيانه كله من فمه إلى أخمص قدماه وكأن المسيح يذوب فيه فيذوب جسمه مع المسيح ويصبح الأثنان جسدا واحد لاجسدان

عاد إلى كرسيه وجلس فيه وترك نفسه تسرح مع الألحان وأصوات المرتلين التي ملئت المكان إنه كالشمع الذي أمامه يذوب رويدا رويدا من حرارة الأشتعال

وقبل خروجه من الكنيسة اشترى شمعة وشعلها على نية السلام وإيقاف الحرب في بلاد الشام ولكنها مالبثت أن انطفئت فعاود وأشعلها من شمعة بقربها وثبتها في حوض الشمع المملوء بالتراب فعادت وأنطفئت فشعر بذعر شديد ممايجري في سوريا الان وعاد وأشعلها للمرة الثالثة والأخيرة وثبتها وغادر بسرعة المكان دون أن يلتفت عليها خوفا من أن يراها تنطفيء لثلاث مرات

عند أسفل درج الكنيسة كان هناك شحاداتان أخرج كل مافي جيبه وقسمه على ثلاث أخذ حصته منها وترك الباقي لهما

فالبرد كان شديدا وقد أشفق عليهما

عاد أبو الساك باتجاه المنزل دون اي حساب للوقت الذي كان دائما هالكه أنه متأخر عن كل شيء في حياته منذ كان طفلا إلى الان

وسار مستمتعا بأنه ملك نفسه وملك الوقت الذي منحته إياه الطبيعة ليعيش معه في تناغم وانسجام وليس في سباق لايعرف أين نهايته ومتى يتوقف عن الجريان

كان مطر يرفان يسقط عليه بهدوء ليغسله من كل مافعلت يداه وكان هوائها يدخل في صدره ليفتح فيها رأيتاه إنه كالمولود حديثا بدا يبكي معلنا قدوم إنسان جديد للحياة

(24)

مهداة إلى كل الأجداد والأحفاد

في تلك الليلة من مساء ذاك اليوم الأحد ولأول مرة لم يذهب أبو الساك للنوم بجانب أم الساك كعادته ليقوم بطقوس الحب والولاء فينال أو لاينال في نهايتها مراده من جنس ولذة وماهو ات وذلك بحسب رضاء أم الساك عليه أو لا

بل جلس مع حفيديه الكبيرة ذات الأربعة أعوام والصغير ذو الثلاث أعوام تحت شجرة الميلاد بجانب المغارة التي صنعتها أمهما فاطفىء نور الكهرباء وأضاء شمعة وضعها بجانب الطفل يسوع وراح يقص عليهما أنه كان ياماكان بقديم الزمان نحكي ولا ننام فجاوب الحفيدين بصوت عالي ملأ أرجاء المكان نحكي وبدأ أبو الساك ينظر في عينيهما ويقرأ منهما الكلمات

مضى الوقت سريعا وشعروا ثلاثتهم لأول مرة بجو الميلاد وأن الطفل في المغارة هو رابعهما

ذهب كل واحد منهم إلى فراشه وتابع بقية القصة في مخيلته حتى استسلموا جميعا للنوم وكأنهم نائمين مع الطفل يسوع في مغارته الان

أنهم الآن في زمن الميلاد من عام 2014

(25)

مهداة إلى أيامنا التي نعيشها الان بالذات

كانت أم الساك تنظر إلى اليوم الممنوح لها على هذه الأرض على أنه وحدة زمنية من رصيدها المنتقص في هذه الحياة وبالتالي عليها صرفه بأكبر مايمكن مما يقابله من المال لأن المال بالنسبة لها هو كل الأمن والأمان

وهذا ماكانت دائما تسعى لأن تجده في زوجها أبو الساك الذي كان يجد في يومه أنه هدية له من رب العباد وعليه الأستمتاع به قدر الأمكان فهي إن وجدته جالسا لأي سبب من الأسباب فهوكأنه جالس على صدرها وصيصيبها بالأختناق

لم تكن تستطيع أبدا الركون لأي شكل من أشكال الراحة والأسترخاء وهذا ماجعل دائما صديقنا أبو الساك في حالة دائمة من التوتر والأحباط فلاشيء يعجبها من كل ماكان يفعله سواء أكان في الليل أو في النهار

استيقظ أبو الساك في صباح اليوم التالي على ضحكات أحفاده قبل أن يغادروا المنزل إلى المدرسة فقد أشتاق لهما منذ ليلة البارحة ورغب في أن يقبلهما فكان لقاءه معهم أسعده وأشعره بالمتعة وأشعرهم بالفرح فمنذ مدة لم يصّبحوا على جدهم أبو الساك

كانت أم ساكو في هذه الأثناء تعد القهوة فالوقت لديها لايسمح بأي استهتار فاليوم منتصف الشهر ولم يبقى معها سوى خمسمائة من الدولارات ولن تكفيها لاخر الشهر مع ثلاثمائة دولار من المساعدات

(26)

مهداة إلى الرجال الذين يصغون إلى زوجاتهم

جلس أبو وأم ساكو بعد خروج الأولاد مع أمهم لتوصلهم للمدرسة يحتسون فنجان قهوتهم لذلك الصباح وبدأت أم ساكو تقص لأبو ساكو عما وصلت إليه من معلومات عن مايقدموه هناك في أقليم أرتساخ

فبدأت حديثها بأستغراب كيف لكل هذه المغريات أن تقدم ولاأحد يعلم بها إلى الان فلاالسفارة الأرمنية في سوريا تنصح مواطنيها بالتوجه إلى هناك ولاأي موقع من مواقع الأرمن تخبر عن ماذا يحدث بالضبط في أرتساخ الكل يتجاهل الموضوع وكأن هناك حرب مازالت قائمة إلى الان مع أنها انتهت منذ أكثر من عشرين عام

استغرب أبو الساك من كلامها وسألها ماهي تلك المغريات ومن أين حصلت على المعلومات إذا كان كل هؤلاء الذين ذكرتيهم لايجيبون سيرتها لأي كان ابتسمت هنا أم الساك وقالت له : أنت يبدو لاتعرف من هي التي متزوجها إلى الان؟

وضحك في صمت وقال: والله يبدو أنني لم أعد أعرف راسي من قدماي في هذه الأيام فكيف لي أن أعرف مايجري من حولي وأنا في يرفان

قالت أم ساكو : إنهم يقدمون لكل عائلة بيت جديد ويعطون معه لكل فرد عشرة من الهيكتارات يسجلوها له في الطابو ملكا له لمدى الأجيال ويعطون للعائلة قرض يصل لعشرة ألاف من الدولارات بشروط مخففة جدا لمساعدتك على بدء الحياة هناك

وإذا أحببت أن تأخذ مساحة أكبر من الأرض فكل هكتار أجرته في السنة ستمائة ترام أي مايعادل دولار ونصف هذه الأيام والهكتار هو عشرة دونمات والدنوم الواحد هو ألف متر مربع

استغرب أبو الساك من هذه المغريات ولاأحد يعرف فيها من الأرمن وخاصة العربان فتوجه لأم الساك بسؤال: وأنت من أين حصلت على هذه المعلومات قالت: يلي بدور على ربه بيلاقيه لابسبب ذكاءه بل لأن ربه بيبعتلوا ناس بيساعدوا على إيجاد الجواب

فقال لها أبو الساك إذا معلوماتك صحيحة فيجب أن يخبر بها كل الأرمن حتى يذهبوا إلى هناك لاأن يدفعوا الفوقن ويلي تحتون ليهربوهم إلى مخيمات اللجوء في أوروبا أو هنا أو هناك كما فعل ابننا ساكو قالت له أم ساكو بحزن :بتعرف أنو في ناس راحت لهنيك وأخذت قرض على أساس ستبدأ به العمل هناك وبعد ذلك هربت بهذا المبلغ إلى أوروبا وهي تقيم لاجئة هناك

اندهش أبو الساك من هذه القصة وقال: إذا الأرمن وصلوا بهم الحال إلى هذه الحال فعلى كل شعوب العالم السلام هل يمكن لأرمني أن يكذب ويسرق ولماذا؟ لكي يطلب اللجوء في دول الأتحاد وسأل نفسه سؤال لم ولن يعرف إيجابته لا الان ولا بعد حين من الأيام والسؤال هو: ماذا يحدث يارب للعالم الذي نحن نعيش فيه الان؟

(27)

مهداة للذين يستطيعون أن يقيموا العلاقات

خرجت أم الساك مسرعة لمتابعة موضوعها في أقليم أرتساخ

بينما جلس أبو ساكو يعد الساعات بفارغ الصبر حتى عودة الأولاد

لم يكن يخطر على باله يوما من الأيام أن هناك شيء ما في هذه الحياة ممكن أن يشده أكثر من المال فقد أضاع كل حياته في هذا المجال

ولم يشعر في لحظة ما كما يشعر الان تجاه هاذان الولدان إنه في الحقيقة شيء لايمكن تفسيره بالكلام هو فقط شيء لايعرفه إلا الذي اختبر الحب في يوم من الأيام

كان صوت ضحكتهما لايخرج من أذناه وصورة أبتسامتهما لاتفارق عيناه لقد وجد فيهما كل ماكان يبحث عنه طوال خمسون عام هو أن يحبه أحد ما من دون أي شروط مسبقة أو تحسين في وضعه أو في شكله أو في العنوان

وشعر أن هذا الزمن الذي قضاه أهم شيء فيه وقد لقاه الان هو أن يحبك شخص ويتمنى دائما أن يراك ويقبلك بكل ضعفك ويقبل أن يسير معك ولايتركك لأي سبب من الأسباب

سمع أصواتهم وهم يتراكضون على الدخول من باب الدار وقد تعالت ضحكاتهم في كل المكان ابتسم وقام لأستقبالهم فواحد حضنه من رجله اليمين والأخرى حضنته من رجله اليسار

(28)

مهداة للذين مع المسيح سائرون

سأل أبو ساكو نفسه سؤال : من هو هذا الشخص الذي أحبني من دون أي شروط مسبقة أو تحسين في وضعي أو في شكلي أو في العنوان

ومن هو الذي لقيته الان وهو يحبني ويتمنى دائما أن يراني ويقبلني بكل ضعفي ويقبل أن يسير معي ولايتركني لأي سبب من الأسباب فلم يجد في كل حياته كلها سوى جواب واحد لشخص واحدهو المسيح

(29)

مهداة لجميع الأزواج

في تلك الليلة من ذلك النهار طلب أبو الساك لأول مرة في حياته من أم ساكو أن تحتضنه كطفل في حضنها فاقتربت منه ولفته بذراعيها حتى الصباح.....

ننتهي هنا من أبو الساك في يرفان وإلى اللقاء في أرتساخ

الفصل الثالث

أبو الساك في أرتساخ

(30)

مهداة للنار التي هي مصدر للدفأ والحب لا للنار التي هي مصدر للحرق والحرب

جلس أبو الساك وأم الساك أمام مدفأة الحطب المغروزة في زاوية جداري المطبخ في بيتهما الريفي في أقليم أرتساخ يتأملان ببعضهما وكأنهما كل واحد منهما يشاهد الاخر لأول مرة كانت نور وظلمة ألسنة اللهب تتراقص على وجهيهما فتخفي كل مافيهما من عيوب وتظهر أجمل مافيهما حتى يشاهد كل واحد منهما الاخر بأجمل مايمكن أن يكون في ذلك المساء

إنهما يحتفلان بمرور شهر كامل على وصولهما إلى أرتساخ وهما الآن في شهر شباط 2015

مهداة للأجساد المنتصرة بالحب على الأرهاب

كان النور المنبعث من المدفأة يظهر أبو الساك بمنتهى القوة والرجولة ويظهر أم الساك بمنتهى الجمال والأنوثة وكانت حرارة النار المنبعثة من المدفأة تزيد من الحرارة المنبعثة من كليهما

فلقد مضى زمن طويل على كل منهما لم يشعر مثل هذا الشعور الذي هو فيه الان وكان السؤال الذي دار في بال كل واحد منهما طيلة فترة الحرب دون أن يدري الاخر به

هذا السؤال هو هل يمكن للحب أن يكون أقوى من الحرب أم أن الحرب أقوى من الحب؟

لأنهم منذ اندلاع الحرب شعر كل واحد منهما أن الحياة والحب قد ماتا فيه وأن الحرب والموت قد عاشا فيه

في هذه الليلة عرف كل واحد فيهما جواب سؤاله دون أن يفتح أي منهما فاه للاخر أو تنطق شفتاه

فما كان يجري داخل كل واحد منهما من لهيب الحب ونار الشوق وحرارة الأجساد أقوى بالاف المرات من لهيب الحرائق ونار القذائف وحرارة المعارك

نعم الحب أقوى من الحرب وقد لمسوه لمس اليد والفم واللسان

نعم الحب أقوى من الحرب وقد لمسوه لمس الأجساد

نعم الحب أقوى من الحرب وقد عاينوه من المساءِ حتى الصباحِ

(32)

مهداة لأم الساك

كان الفجر قد سبق الصباح وسبق كليهما صياح الديوك فالفجر لايأتي وحيدا في أرتساخ بل تسبقه دائما جوقة من الديوك تعلن عن قدومه وترحب به في كل مكان

لم يعد أبو الساك هو نفسه ذاك الشخص الذي عرفناه الذي كان يجلس مع صديقه أبو الحن في بلاد الشام وينظّر عليه أشكال وألوان ويشرب من عنده كاسة أو كاستين من الشاي

فقد أصبح قليل الكلام وأكثر عزلة وانطواء هو بنفسه ماعرف ماذا حدث له هل هذا بسبب وجوده في أرتساخ أم أن شيء ماتغير فيه بعد كل ماعاناه أم الأثنين معا هما الجواب

فلم يعد يخشى أم الساك وهو مثل المنوم لايهتم كثيرا ولايعنيه شيء على الأطلاق فقد غاب عنه وحيده ساكو وأخذ لعنده حفيداه وانهارت كل أحلامه التي بناها في بلاد الشام والحرب مازالت مستعرة وقد أكلت الأخضر واليابس وقضت على كل ماهو جميل في الشام

كانت رائحة القهوة تصل إليه مع صوت أم الساك وهي تردد أغنية لفيروز

أنا لأرتساخ وأرتساخ إلي

أنهض صوت أم الساك ورائحة القهوة أبو الساك من فراشه وتوجها به إلى المطبخ حيث كانت أم الساك هناك مجهزة القهوة والأركيلة ولاينقصها إلا وجود صاحبنا أبو الساك

سحبت أم الساك سحبة عميقة من مبسم أركيلتها ونفثت دخانها في أرجاء المطبخ فعبقت بالمكان رائحة المعسل الذي كان على تفاح

والتفتت إلى أبو الساك بنظرة كلها أرتياح وقالت وهي شبه مبتسمة :بتعرف لو لأرمن سوريا عقل لرحلوا إلى بلدهم من زمان

قال أبو الساك بصوت حزين : الله يعين العالم هناك

فردت عليه أم الساك بسرعة وعصبية : الله لايعين حدا أنا عم أحكي على الأرمن يلي بسوريا شو يلي مقعدون هنيك بلد وعندون والشاطر لسا بيضربون منية أنو استقبلون حفاة عراة وطعموهم وشربوهم ولولا السوريين كانوا ماتوا من الجوع شو استفدنا إذا واحد استقبلني وطعماني وسقاني وبعدين قتلني وسرق مني كلشي وحرق كلشي بنيتوا وتعبت فيه من تلت أجيال للان حاجة بقا والله الواحد ماعم يعرف حالوا بدو يزعل على الأرمن يلي هنيك ولا يشمت فيون بعد كلشي صار

استغرب أبو الساك هذا الأنفعال من أم الساك وقال بهدوء : وين بدون يجوا ماشفت شو صار فينا بيرفان ؟

ردت أم الساك: يجوا لهون على أرتساخ

قال أبو الساك: طولي بالك لنشوف شو هون الخوزاق؟

ردت أم الساك:

بتم أرمينيا أمون الأصلية وماحدا فيا لهلق مات من الجوع ولامات من القهر ولامات من الهاون ولك خلي ياكلوا تراب هون أشرف لهم من العيشة هناك الشاطر عم يخونن أنو عضوا الأيد يلي امتدت لمساعدتهم وعم يُحسبونهم على النظام

قال أبو الساك : يمكن ناطرين النظام يرجع يسيطر ويرجعوا متل أيام زمان

ضحكت أم الساك وسحبت من أركيلتها سحبة عميقة عبت فيا رئتيها على التمام ونفثت في المطبخ دخانها كفوهة قطار وقالت: يوم يلي بتشوف الشمس عم تشرق من الغرب وتغرب في الشرق وقتها بيرجع النظام يأبو الساك بحياتها الحياة مابترجع لورا الحياة مابتمشي إلا لقدام وبعمرو الظلم مادام طالما في ناس عم تطالب بحقوقها للممات

فرد عليها أبو الساك: هي الظلم صرلوا خمس وأربعين عام وماسقط النظام ليش ليسقط هلق متل ماعملوا بزمناتون بحماة هلق بيعملوا بكل سوريا ماحدا عم يمنعون شايف

فردت عليه أم الساك: يلي كان مهدي سوريا لهلق أنو هي متل واحد واقف على رجلتين السلاح الكيماوي وهي الرجل الأولى للعدو الخارجي وسلاح الخبز وهي الرجل الثانية للعدو الداخلي يلي هو الشعب هي كانت استراتيجية المرحوم أبوه

هلق هو واقف على رجل وحدة لأنه لسا قدران يطعمي هالعالم على حق الربطة خمس وثلاثين ليرة سورية أي مايعادل 0,14 دولار أميركي لكل كيلو غرام خبز بينما حق كيلو الخبز بالعالم كله 1 دولار ومشان هيك أرمن سوريا مابيتركوا سوريا وموبس أرمن سوريا مابيتركوها كلشي بيحسبها من ناحية مادية مابيطلع من سوريا إلا على اللجوء اكل شارب نايم على حساب الدولة الجديدة

بس شوي شوي وهيك المؤشرات أنو النظام عم يفقد قوته الأقتصادية والدليل على ذلك ارتفاع سعر الدولار بشكل متسارع صاير كل يوم عم ينط شي عشر ليرات سورية

والدولة فاقدة لأراضي حقول القمح في الجزيرة السورية وسهول حوران والقمح يلي كان بالصوامع أكلوا الشعب السوري آخر سنتان ومع إنخفاض أسعار النفط في العالم إيران وروسيا ماعاد يحسنوا يدعموا النظام غير بالسلاح والرجال لأنو الأولوية ليطعموا شعبهم والمصاري يلي كانت بالخزينة السورية خلال أربع سنين طارت لتغطي تكاليف الحرب هناك

وقت الأب أو الأم بيشوفوا ولادون ماعم يناموا بالليل من الجوع وقتها الكل بدو يطلع من بيته وينادي بأعلى صوته أنو بدو ياكل وبيصير يهجم على كلشي بشوفوا بوجه وماعاد يخاف من شي لأن شو الشي يلي بدو يخوفوا أكتر من أنو هو وولادوا يموتوا من الجوع وقتها هي هيه الثورة الحقيقية يلي ماحدا بيحسن يوقف بوجها مو هديك تبع الحرية

فقال أبو الساك: مستغربا وهو الذي كان يوزع على أبو الحن بزمناتوا كل التحليلات السياسية والعسكرية : يعني النظام مارح يسقط بالقوة العسكرية من داعش وجبهة النصرة وجيش الإسلام والجبهة الأسلامية وجيش حر وكل ماهب ودب وحمل السلاح ضد الدولة

فقالت أم الساك: هدول كلون بيقوا النظام لأنو العالم بتصير تخاف ومابتلاقي بغيروا أحسن مصيبة وبتحط عالجرح ملح وبتسكوت طالما في مين يطعميا خبز كل مساء

رد أبو الساك بصوت متهدم :يلي عم يصير بسوريا حرام شو ذنب هالعالم كلها؟

فقالت أم الساك : رح قلك شو ذنب هالعالم كلها

بس لما تسمع مني هالقصة

كان بزمناتو رجال أعمى وأخرس وأطرش عايش هو ومرتوا وبناتو ببيت واحد والمرة مع بناتو بيشتغلوا بالدعارة جوات هالبيت وبيجمعوا بهالمصاري وبيتنعموا فيا وبعد فترة من الزمن طويلة خطر على بال هالمرة سؤال سألتوا لبناتها قالت لهم : ياترى أبوكم بيعرف شو نحن عم نشتغل بهالبيت بيتم بغرفتوا جوا مسكر الباب على حالوا مابيطلع غير عالأكل فهو برأيكم دريان ولامانو دريان ألتفتت البنات إلى بعضهم البعض ولم يكنّ يعرفنّ جواب هذا السؤال: فقررت الأم مع البنات الخطة التالية

في اليوم الأول كان الغداء مجدرة وأكلوا جميعا ولم يقول الأب شيئا وذهب لغرفته كالعادة وأغلق الباب وراءه

في اليوم الثاني كان الغداء بطاطا مسلوقة وأكلوا جميعا ولم يقول الأب شيئا وذهب لغرفته كالعادة وأغلق الباب وراءه

في اليوم الثالث كان الغذاء خبز فقط وأكلوا جميعا ولم يقول الأب شيئا وذهب إلى غرفته وأغلق الباب وراءه

في اليوم الرابع لم يكن هناك سوى بقايا لخبز يابس وأكلوا جميعا ولم يقول الأب شيئا وذهب لغرفته وأغلق الباب وراءه

في اليوم الخامس لم يكن هناك شيئا على الأطلاق ليأكلوه

هنا استشاط الأب غضبا وضرب طاولة الطعام التي أمامه بقبضة يده وأمسك بها بكلتا يديه وقلبها رأسا على عقب فهرب الجميع من حولها خشية أن تصيبهم فوقعت على الأرض سطحها للأسفل ورجليها إلى أعلى ونظر إلى الجميع وصاح بأعلى صوته الذي سمعه كل من في البيت لأول مرة : أنا أريد أكل عرصات هذا ليس بأكل عرصات

ضحك أبو الساك من هذه القصة وقال: شو قصدك الشعب السوري هو متل هالأب الأعمى الأخرس والأطرش يلي شايف كلشي وساكت طالما عم ياكل ويشرب والنظام هو متل هالمرة وبناتها

ردت أم الساك: شو النظام وشو الشعب هنن شي واحد مالنظام من هاد الشعب والشعب من هاد النظام كلوا بيمشي أموره على حساب التاني

وبيعمل حالوا مو دريان

قال أبو الساك متسائلا: شو الحل ؟

فردت أم الساك : مافي حل

فقال أبو الساك بصوت خافت وهو يلتفت يمينا ويسارا منحنيا بظهره إلى الأمام مقتربا من أذن أم الساك خشية أن يسمعه أحد:يعني إذا راح بشار مابتنحل ؟

فردت عليه أم الساك وهي تنظر للأعلى مع صعود دخان أركيلتها عاليا: لاإن راح بشار بتنحل ولا إن بقي بشار بتنحل المشكلة ليست في بشار واحد المشكلة في 23 مليون بشار

أعاد أبو الساك جسمه إلى الخلف رويدا رويدا وأسند ظهره على مسند كرسيه وأخذ نفسا عميقا واسودت الدنيا في عينيه

تابعت أم الساك نفس أركيلتها مع صوت قرقعة المياه يخرج عاليا ورائحة المعسل تغزو المكان وقبل أن تلف نربيش أركيلتها وتنهيها التفتت إلى أبو الساك الذي كان شاردا في مايحصل في سوريا من قتل وتشريد ودمار ولاشيء يوقف هذا الدوار

وقالت بصوت ذو نبرة مرتفعة وعالية: الحل بسوريا أنو الأب لازم بقى يفتح عيونوا ومابقى يكون أعمى ولازم يرفع الصوت عاليا بالحق مو بالباطل وما يرضى يعيش من تعريص مرتوا وبناتوا ويوقف كل وحدة منون عند حدا وماعاد يرجع على غرفته ويسكر الباب وراه لازم يطلع عالشمس عالهوا النظيف عالشغل الشريف يلي بيطعميهم هنن وأمون خبز كل يوم معجون بعرق جبينون مو بعرق طيازون وهيك لحالا الحرية هي بتجي وبتسكون بيناتون وبحل السلام على هالبيت يلي اسموا سوريا

مو بينزلولي على الشوارع بدهم حرية وقبل شوي كانوا عم ياكلوا أكل عرصات يلي بدو حرية بدو ياكل خبزو بعرق جبينو ومين مأجا لياكل من خبزو يلي تعب فيه بيوقفوا عند حدوا ومالازم يخاف من شي طالما الحق معو لأن يلي خلا هالبيت يصير بهالشكل هو الأب يلي هو الشعب يلي سكت على الخطأ طول هالسنين لأنو بالأساس ماكان عم ياكل خبزو بعرق جبينوا ويلي كان عم ياكل خبزوا بعرق جبينوا كان لما يجي حدا بدوا ياكلوا يا لخبزوا كان يسكت ويخاف ومايحسن يوقفوا عند حدوا لأنو بحس حالوا وحيد مافي حدا معوا وإذا شي واحد تفهمن وحكالوا شي كلمتين على تفسيرون ماعجبتون بيختفي في السجون ماحدا بيعرف وينوا ولاحدا بدوا يعرف وينوا مرتوا وولادوا بموتوا من الجوع والقهر ولاحدا مهتم فيون من أقرب الناس ألو والشاطر بيشمت فيه وفيون وبيهمس بأذن التاني شو أجدب لعلق حالوا هالعلقة مفكرلي حالوا مافي غيرو ذكي وفهمان خلي يلقا إذا كان بيلقا المهم بالأخيركل واحد فينا ملتهي بأكل خبزه من عرق طيز التاني حتى صار كل واحد منا مشرد باخر طيز هالدنيا ويلي لساتوا بالبلد عم قلي عالفيسبوك أنو هو وطني مابيطلع بدال مايكون صادق مع نفسوا ويلي حواليه ويقول ومايخاف أنا مامعي مصاري اطلع وهلق إذا معي شوي بكرا بيخلصوا ومابقى فيني لاتم برا ولاأ رجع لجوا

هنا قاطعها أبو الساك وقال: طيب شو يلي صار بسوريا حتى العالم نزلت عالشوارع تعيطونحن هون ماعم نسترجي نحكي بالموضوع

ردت ام الساك : يلي صار بسوريا وقت العالم نزلت عالشوارع هو من كترة الشبع قد مأكلت أكل عرصات صارت العالم بدا شي تاني سمتوا حرية عم يطالبوا فيا فكرون أنو الحرية بتجي من برا متلا متل مأجاهم الأكل رح قلك شغلة يابو الساك كلشي بهالدنيا بيجيك من برا إلا حريتك مابتجي غير من جوا لأنها هي الوحيدة يلي خلقانة معك وماحدا بيحسن يعطيك ياها أو ياخدا منك إذا مأنت سمحتلوا

هاد العياط يلي شفتوا عالتلفزيونات كلوا كان مؤامرة

فقال أبو الساك مسرعا: يعني مظبوط يلي قالوا الرئيس بشار بأول خطاب له أنو في مؤامرة على سوريا

فردت أم الساك : مظبوط 100% بس يلي ماقاله في خطابه الأول ولا الأخير ولا رح يقولوا بكل خطاباتوا من هو يلي حط المؤامرة ونفذ هذه المؤامرة

فقال أبو الساك بصوت يكاد أن يكون مسموعا ومستغربا من جرأة أم الساك: شو قصدك أنو بشار هو يلي حط المؤامرة وهو يلي نفذها

فقالت أم الساك: أنا مابيهمني مين عمل المؤامرة على بلدي أو مين نفذ المؤامرة على بلدي أنا بيهمني مين كان لازم يحمي بلدي من هالمؤامرة وماتدمر بلدي وما يتشرد شعبي وما تموت أطفالي وما تغتصب نسائي

يلي هو المفروض رئيس دولتي ويلي هو اسموا الرئيس بشار

تابعت أم الساك حديثها قائلة

المؤامرة يا أبو الساك هي كل واحد منا هو مؤامرة صغيرة بس لما منجتمع مع بعض بها الأرض يلي اسمها وطن من صير كلنا مع بعض مؤامرة كبيرة

المؤامرة يا أبو الساك هي متل السيل يلي ماحدا بيحسن يوقف بوجه بس هو بالحقيقة عبارة عن ملايين من قطرات الماء اللطيفة الصغيرة يلي اختارت كل وحدة منها لحالا أنو تختار الطريق الأسهل لها يلي هو الأنحدار نحو الأسفل فعملت كلها مع بعضها لما تجمعت بنفس المكان قوة كبيرة بتمشي دايما نحو الأخفض وبتهدم كلشي بيجي قداما من إنسانية و بشرية

المؤامرة يا أبو الساك هي متل قصة سور الصين العظيم يلي تموا يبنوا فيه 700 سنة وتوالى على متابعة بناؤه 30 امبراطور من سلالة العائلة الملكية وتسخر مجهود شعب من أضخم الشعوب البشرية ونحط فيه مقدرات كل الأمة الصينية ليرد خطر العدو الخارجي وبالأخير ماقام بوظيفتوا المعمول مشانا يلي يعتبر أكبر مجهود بتاريخ كل البشرية لأنو العدو كان من جوا وهو حراس الأبواب تبع هالسور يلي فتحوها للعدو وقبضوا منوا الخرجية

المؤامرة يا أبو الساك هي طول عمرها داخلية لأنها هي مرادف لكلمة الخيانة مافي شي اسموا مؤامرة خارجية نحن بس عنا مصطلح المؤامرة الخارجية ويلي هي تسميتها الصحيحة مصالح الدول العالمية

المؤامرة يا أبو الساك هي مانا شي جديد بهالبشرية هي ثاني أقدم مهنة بالعالم بعد الدعارة بترتيب تاريخ المهن البشرية

المؤامرة يا أبو الساك هي جوات كل واحد منا هون هي المؤامرة الحقيقية يلي بدا تحطموا وتستعبدوا وتتمكن منوا وبس سيطرت عليه صار سهل جدا عليها تسيطر على باقي عيلتوا وبس سيطرت على عيلتوا وعيلة غيروا صار عندك جيل كامل مابيعرف شي اسموا وطن مابيعرف غير شي اسمو مصلحتو الشخصية

المؤامرة يا أبو الساك هي الخوف يلي جوات كل واحد منا يلي خلانا عميان وطرشان وخرسان عن كلشي قدامنا اسمو ا الحقيقة لأنو منخاف نشوفوا لأنو إذا شفنا الحقيقة صار لازم علينا ناخد موقف ونحن بالحقيقة مابدنا نقوم نوقف ونترك كراسينا المتحركة

المؤامرة يا أبو الساك مالها حل غير حل واحد هادا إذا كنا حقيقة بدنا بلدنا أنو كل واحد مننا يبلش هلق من حالوا من أكبر واحد بهالبلد لأصغر واحد من ها اللحظة هي وماعاد حدا يحط اللوم عالتاني لأنوا إذا مابلش هلق كل واحد منا من حالوا المؤامرة رح تقضي عليه أولا ورح تاخد معها بطريقها ثانيا شي اسموا حريته وثالثا شي اسموا وطنه.

والتفتت أم الساك إلى أبو الساك بعد هذا الموشح وقالت له: بقا شو قلتلي يا أبو الساك بدك تبلش هلق أنت من حالك ولا بدك تم دور بدوامتك الصوفية

فرد عليها أبو الساك قائلا: شو قصدك

فنظرت إليه أم الساك من أعلى رأسه إلى أخمص قدميه وارتسمت على وجهها ابتسامة خفيفة وقالت له: يعني ماعم تشوف أنو في مؤامرة عم تقضي عليك وأنت مستسلم لها بكل ممنونية

نظر أبو الساك إلى نفسه ثم جال بنظره بماحوله وقال :ماني عم أفهم عليكي

فقالت له : يا أبو الساك قبل ماتفكر طول هالوقت شو صار وعم يصير وبدو يصير هونيكه (وأشارت بيدها اليمنى باتجاه الجنوب الغربي قاصدة بذلك البلاد السورية)مافكرت شي مرة ليش هالولد يلي هو ابنك يلي اسمو ساكو تركك وراح لهو نيكيه (وأشارت بيدها اليمنى إلى اتجاه الشمال قاصدة بذلك البلاد السويدية)

ماخطر على بالك سؤال ليش هالولد تركني أنا وأمو لحالنا بأرمينيا وليش مابقي معنا هون ماصفيلوا حدا بالدنيا غيرنا ولانحن صفيلنا غيروا هنن هل كام يوم يلي بقيانين فيا لها الدنيا معو ليش راح لهونيكيه (وأعادت حركة يدها اليمنى باتجاه الشمال قاصدة بها البلاد السويدية)

رد أبو الساك مسرعا عليها قائلا لها: هو قال بدو يروح على السويد لأنو فيو ياخود لجوء هونيكه وبيعطوا مصاري شي 3,500 دولار بالشهر ألو ولعيلتو وبيدفعولوا تلت أرباع أجرة البيت يلي مستأجروا والطبابة ألو ولعيلتو وكمان بيعلموا الأولاد ببلاش بالمدارس والجامعات السويدية وبعد خمس سنوات بيعطوهم الجنسية السويدية يعني شو بدك أحسن من هيك ليش مايروح ؟

شو كان بدو يشتغل بأرمينيا طول حياتو شوفير تكسي ويشحق مايلحق وينكسر بالأخير متل ماصار فيني خلي يروح لهونيك حلال عليه وبكرا بياخدنا لعندو بس ظبط حالو شوية

فقالت أم الساك : يعني أنت موافقو على هالروحة وناطر يشحطك لعندو لهونيكه

فاهتز أبو الساك من مكانه من الضحكة التي أصابته فجأة من سماع جملة أم الساك الملقاة أمامه وقال: ليش أنت بس يطلبنا مابدك تركضي ركض لهونيكه (وأشار بيمينه إلى جهة الشمال كما كانت تفعل بطريقتها هذه المرأة التي تقعد مقابيله)

اهتزت أم الساك هذه المرة بدورها من مكانها من الضحكة التي أصابتها فجأة من سماع كلام أبو الساك الملقى على مسمعها وهو كله ثقة بما يصول ويجول في زاويته وقالت : ابنك ياأبو الساك مارح عالسويد كرمال كل هدوليكه الشغلات ابنك راح عالسويد لأن أهل مرتوا هونيكه ومرتوا هي يلي بدا تقدفوا لهونيكه (ورفعت يدها اليمنى وأشارت بها لجهة الشمال قاصدة بها البلاد السويدية)

فهز كتفيه أبو ساكو مستغربا بينه وبين نفسه من هذا الطرح اللامنطقي في ذهابه لهونيكيه وقال : شو المشكلة بالعكس أحسن خلي مرتوا تجتمع مع أهلها وخلي ولادوا يتربوا مع جدون وستون وخوالون وخالاتون هونيكه

فقالت أم ساكو وقد أرتسمت على وجهها ابتسامة خفيفة : المشكلة يا أبو الساك أنو لهلق أنت وابنك مانكون شايفين أنو فيكون تكمن المشكلة

فانتفض أبو ساكو من مكانه وكأن أحدهم قد صفعه على وجهه صفعة قوية وقال : شو صايرة عم تحكي أنت شرقي غروي شو هالكلام يلي عم تقوليه مالو جنس الطعمة ولا الفكاهة ولا الماذية

فردت أم الساك بعصبية : هون هي كل الطعمة والفكاهة والماذية أنت وابنك ياأستاذ يلي أنت معتبرين حالكون قمة الفهم والمفهومية ماخطر على بالكم سؤال ليش الحكومة السويدية عم تاخد كل هالسوريين لعندا وعم تعلفون وتنيمون وطببون وتتحمل كل خريناتون ومشاكلون عندا هونيكه (وأشارت بيدها اليمنى لأتجاه الشمال قاصدة بها البلاد السويدية)

ضحك مستهزئا أبو الساك من هذا الكلام كله لأنه لم يخطر أبدا على باله في يوم من الأيام هذا السؤال كله على بعضه لأنه يعرف هو من زمان أن كل أوروبا والغرب يستقبلون الحالات الأنسانية وهي دول تحترم الحيوان فيها أكثر من كل الأنسانية وأن الذي يصل إليها ويستطيع أن يقيم عليها بأوراق نظامية يكون حظه من السما وهو يعيش في جنة الكرة الأرضية

فالتفت أبو ساكو باتجاه أم الساك وقال لها : والله ماعندي جواب لهذا السؤال تفضلي عطيني أنت الجواب إذا كان عندك جواب لأنو شايفك صايرة حضرتك أفهم من الحكومة السويدية

ضحكت أم الساك قليلا وقالت له: لو الحكومة السويدية شايفها أنت متل ماعم تفكر قلي ياشاطر ليش ماراحت هي على مخيمات اللجوء السورية واخدت من هونيك كل السوريين يلي حالاتون صعبة وعم يموتوا كل يوم ميت موته وموته هونيكه (وأشارت أم الساك بيدها اليمنى باتجاه الجنوب الغربي قاصدة بها هذه المرة بلاد الجوار السورية التي تعج بأربعة ملايين من المشردين القابعين في مخيمات اللجوء السورية)

لو الحكومة السويدية شايفها أنت متل ماعم تفكر قلي ياشاطر ليش ماعطت هالمصاري يلي عم تصرفها على اللاجئين عندها على كل عيلة متل عيلة ابنك المحروس بحدود 3,500 دولار أميركي بالشهر للأكل والشرب والثياب وبضهرون ¾ أجرة البيت يعني كمان شي 1,500 دولار أميركي بالشهر وبيلحقون كمان طبابة ومدارس وجامعات شي 1,000 دولار بالشهر يعني يافهمان عيلة متل عيلة ابنك المحترم بتكلف الحكومة السويدية بالشهر

يعني كل واحد من هالعيلة بكلف على السويديين كل شهر 1,500 دولار أميركي وصل لحد هلق لعندون 40,000 لاجيء سوري يعني هدول بيكلفوا السويد كل شهر تقريبا 60,000,000 دولار أميركي يعني بالسنة الوحدة × 12= 720,000,000 رح إيجيك من الأخير وقلق السويد راصدة حاليا ومبدئيا كرقم أولي 4 مليار دولار أميركي لها الموضوع (جاوبني هلق إذا كنت بتحسن تجاوب على هالسؤال : 4 مليار دولار أميركي كام لاجيء سوري بالمخيمات بتعيّش هونيكه (وأشارت أم الساك بيدها اليمنى باتجاه الجنوب الغربي قاصدة بها هذه المرة بلاد الجوار السورية التي تعج بأربعة ملايين من المشردين القابعين في مخيمات اللجوء السورية) ؟؟؟؟

تابعت أم ساكو حديثها قائلةً

لوالحكومة السويدية شايفها أنت متل ماعم تفكر قلي ياشاطر أنت برأيك الحكومة السويدية بتعرف ولا مابتعرف أن نص يلي عم يوصل لعندا من السوريين حط كل واحد منن 12,000 دولار أميركي إن كان كبير أو صفير أو مقمط بالسرير ولتعن أبو أفطاسو من الخوف والتعتير وهادا المبلغ يلي دفعوا للمهربين هو كلشي كان معو وممكن يكون مدينوا كلوا أو نصوا أو ربعوا

والنص التاني يلي وصل لعندا معوا مصاري مابتاكلا النيران ومكذب عليا أنو مامعوا ولا كراونة (وحدة العملة في السويد) وعايش بالمخيم هونيكه (وأشارت بيدها اليمنى لأتجاه الشمال قاصدة بها البلاد السويدية)

لوالحكومة السويدية شايفها أنت متل ماعم تفكر قلي ياشاطر أنت برأيك الحكومة السويدية بتعرف ولا مابتعرف شو يلي عم يصير جوات المخيمات هونيكه (وأشارت بيدها اليمنى لأتجاه الشمال قاصدة بها البلاد السويدية)

فقال أبو الساك مستغربا ليش شو يلي عم يصير جوات المخيمات هونيكه

فردت عليه أم ساكو : مابتتذكر شو حكالنا ابنك ساكو أنو المخيم يلي هو فيه كيف تحول يوم بعد يوم إلى قلعة دينية إسلامية الكل صارت ذقونهم طويلة وعم يفيقوا على صلاة الفجر ويتابعوا الخمس ركعات اليومية وكان في بيناتون شيخ للوعظ والصلاة وكان عم يقول أنو هي بلاد الكفار ونحن بس كترنا وأخذنا كلنا جنسيات سويدية بدنا نحولا لإمارة إسلامية لابالقتال ولا بالذبح هذه المرة بل بمنطقهم هم بالأنتخابات الديموقراطية

تابعت أم الساك حديثها بكل هدوء وإنسيابية قائلة: شايف هادا يلي عم يصير بالسويد هلق هو نفسو يلي عم يصير بكل الدول الأوروبية بقا فيك تقلي يافهمان وين هي الإنسانية عندون وليش عم ياخدوا فقط من هالشعوب الإسلامية

رد ابو الساك بكل ثقة : في عندون مشكلة وبدون يحلوها أنو هنن شعوب مصابين بداء العزوبية والعيلة عندون مابتخلف أكتر من ولد أو ولدين طول حياتها الزوجية وبتتبع الأحصائيات والدراسات عندون طلع معون أنو هنن رح ينقرضوا كشعوب أوروبية مشان هيك سموا قارتهم بالقارة العجوزية والحل شافوا هنن أنو يستقبلوا هذه الأعداد البشرية حتى تكبر ولادا لهذه الجموع هونيكه (وأشار بيده اليمنى لأتجاه الشمال قاصداً بها البلاد السويدية)

فقالت أم الساك : طيب رح امشي معك بهالنظرية بس ماجاوبتني ليش نقوا من كل هالشعوب فقط الشعوب الأسلامية كانوا على الأقل لوحكيك صحيح كانوا نقوا من هالبشرية الشعوب المسيحية على الأقل بيبقوا أقرب لألون من الناحية الدينية والخلفية الثقافية وفي عندك مسيحيين ملتعن سلافون معباين بكل الكرة الأرضية ومستعدين ينشحنوا إلى اخر معمر هالكون بس لاقيلون شي سقف يتأوا في تحتوا من التشرد والفقر والجوع والبرد والحر كل شتوية وصيفية

فقال أبو الساك: هنن حسب دولهم العلمانية يلي تربوا فيا مابيميزوا الشخص على حسب دينوا أو لونوا أو شكلوا أو ثقافتوا هنن بالنسبة ألون المهم أنو هو إنسان ويعيش عندون تحت قوانينهم الديمقراطية وهادا يلي وصل لعندون بالصدفة نتيجة الأوضاع المأسوية في سوريا

فقالت أم الساك :أنت برأيك هذه الهجرات البشرية الإسلامية من كل العالم يلي صرلها عم تنشط من خمسين سنة وجاية على الدول الأوروبية هي محض صدفة وكل شي عم يصير بهالموضوع هو عم يجري بدون مخططات تنظيمية مخطط لها منذ فترة طويلة.

فقال أبو الساك: لا كل هالشعوب يلي استقبلوها في أوروبا كانت بسبب الحاجة لهم في أمور اقتصادية

وأضافت أم ساكو قائلة: وأنت كمان برأيك صدفة أنو كانت شعوب إسلامية

هنا صمت أبو الساك الصمته النهائية وقال لها : شو لكان ياأم الساك برأيك وراء كل هذه التمثيلية

فقالت أم ساكو: شايف ياأبو الساك يلي عم يصير هلق ببلدنا سوريا ريح يصير نفسوا طبق الأصل بكل الدول الأوروبية بس طول بالك عليهم حتى يسحبوا اليهود من أوروبا ويطالعوهم برات كل هاللعبة اليهودية

فقال أبو ساكو: ماعم أفهم عليكي شي شو دخل اليهود بها القصة ولا صايرة متل العرب كلشي بيلزقوا باليهود والأمة اليهودية

ضحكت أم ساكو وقالت: بتتذكر لمى طلع كلشي في يهود من سوريا قبل 25 سنة

قال أبو ساكو: بتذكر

فردت عليه أم ساكو قائلة : بتتذكر بهديك الفترة وقت رجعت على البيت وجهك مخطوف لونو ولما سألتك شوبك ياأبو ساكو مانك على بعضك خير صاير معك شي لسمح الله بالشغل قلتلي لا بس اسمعي شو اسمعتلك اليوم من جارنا بالمحل أبو هيثم سمسار بيع وشري البيوت بحارة اليهود بدمشق القديمة شو قلو دافيد اليهودي لما راح ليودعوا قبل بيوم من سفروا ويقبض منو سمسرة البيعة تبع بيتوا يلي بعلوا ياه بملايين الليرات السورية

فقال أبو الساك : بتذكر ايه نعم بتذكر هداك اليوم كأنو هلق قدامي عم يصير المشهد بحرفية

فقالت أم ساكو: رجاع حكيلي شو حكيتلي هداك اليوم قبل 25 سنة

فعاد أبو ساكو بذاكرته إلى الوراء 25 سنة واستذكر المشهد والحديث الذي دار بينه وبين جاره في المحل أبو هيثم فظهر معه المشهد التالي: ولك أبو ساكو تعال سماع شو صار معي مبارحة والله طول الليل مأجاني النوم من هالسمعة يلي سمعتها واليوم راسي عم يفتل فيّ فتل ماعم تنهضم معي أبدا هالخبرية الله يستر من يلي جاييينا

قال أبو ساكو: خير أبو هيثم شفلتلي بالي خير شو صاير معك؟

فأجاب أبو هيثم : ولك بتعرف أني اخر فترة صرت بيع بيوت العربي تبع هاليهود والحمد لله الأمور ماشية تمام الكل عم بيبيع من هاليهود بيتوا ورايحين الجماعة على أميركا

قال أبو ساكو: طيب هي الشغلة معروفة وين القصة يلي صارت معك؟

قال أبو هيثم: في عندي زبون اسموا دافيد رحت مبارحة لعندوا أقبض بقية الكمسيونة تبعي وودعوا

قال أبو ساكو: ايه شو صار

رد أبو هيثم: عم قلوا لأني بمون عليه لأنوا أنا وياه من لما كنا صغار هو بحارة اليهود وأنا بحارة القيمرية والحارتين متل مابتعرف قراب على بعض وكنا نلعب كل هالأولاد سوا بين هالحارات

تنهد أبو ساكو وأخذ شهيقا عميقا ثم زفيرا كبيرا وقال: ولك ايه وبعدين

قال أبو هيثم:

قلتلوا ولك دافيد ليش عم تتركوا الشام وتروحوا على أميركا صرلكون هون بيناتنا 5000 سنة وشو بدكون أحسن من هيك عيشة هون بيوتكون بنص الشام وربيانين ومتعودين هونه ومحلاتكون كلها بالقصاع والحمرا والصالحية بأحس وأغلى الشوارع الشامية وكلكون عندكون سيارات وفلل على طريق المطار اشو بدكون أحسن من هيك عيشة والله نحن الشوام ماعنا ربع ماعندكم ليش تاركين كل هالشي ورايحين بالجملة لأميركا البعيدة فكركون أنو هونيك العيشة أحسن من هونه

وقتها جاوبوني دافيد وقلي : والله ياأبو هيثم حكيك صحيح 100% بس هلق صحللنا طلعة من سوريا مع عيالنا ومالنا مامنعرف بكرى بيجوز مايصحلنا هالشي وبعدين نحن القرار مو بأيدنا يأبو هيثم نحن الحاخامات تبعنا قالولنا بتبيعوا كلشي أملاك عندكم بسوريا وبتحطوا المصاري بالسفارة الأميركية بالشام وبتقبضوها دولار لم بتوصلوا على أميركا بعد مع يعطوكم بالسفارة فيز هجرة لهونيكه

قلتلوا: وإذا قالوا لكم الحاخامات تبعكم عملوا هالشي أنتوا بتردوا عليون لاتردوا عليون

قام قلي دافيد: بس ياأبو هيثم هدول الحاخامات مارح يقولولنا نعمل شي إذا ماكان لخيرنا بالأخير

في هذه اللحظات كانت النار في مدفأة المطبخ قد حولت كل قرم الحطب التي وضعتها فيها أم ساكو لتلك الصبحية

(33)

مهداة هذه البوسة بشكل خاص إلى كل النساء

مضى على وجود أبو ساكو وأم ساكو في أرتساخ قرابة الشهروالنصف وهم الآن في منتصف شباط 2015 أنجزا خلال هذه الفترة مالم يستطيعا أن ينجزا خلال كل حياتهما

فقد أصبح لديهما بيتهم الخاص موثقا بطابو نظامي من حكومة أرتساخ

يحوي على مطبخ كبير يستعملونه كغرفة معيشة وغرفة نوم وحمام يحيط به تراس مرتفع بقدر ثلاث درجات وعرض ثلاثة أمتار ويطوق الكل حديقة بعرض خمسة أمتار

مبني على سفح تلة مع رفاقه من بيوت القرية الواقعة في الجنوب من أقليم أرتساخ لايفصلها عن نهر أراكس الذي هو خط الحدود مع إيران سوى ثلاثين كيلو متراً

يشرف على سهل توزعت عليه أملاك سكان هذه القرية التي تعد ثلاثين عائلة أرمنية قادمة من بلاد الشام مع عشرة عائلات من أرمن أرمينيا

تملك فيه عائلة أبو الساك 20 هكتار هي حصتهما الممنوحة من أقليم أرتساخ عشرة هكتارات لكل منهما بطابو موثق نظامي لكليهما

وقدمت حكومة الأقليم فوق البيت والأرض قرض بدون فؤائد مقداره مايعادل 10,000 دولار بعملة الأميركان

وأهدتهم حكومة الأقليم أيضا عفش البيت من المفروشات

كل هذا التقديم الهدف منه تشجيع القادمين على القدوم والأستمرار في أرتساخ

أنفقت عائلة أبو ساكو 1,500 من الدولارات على ثمن حبوب القمح

و500 دولار على زراعتها

وبقي معهم 8,000 من الدولارات

دفعوا منها 2,500 دولار ليسترجعوا فيها ذهبات أم ساكو التي رهنوها في يرفان

وبقي معهم 5,500 دولار يجب أن تكفيهم من بداية هذا العام حتى حصاد محصولهم في نهاية اب وضعوا في أقرب بنك لهم يبعد عنهم ثلاثين من الكيلو مترات 5,000 دولار وأبقوا معهم 500 من الدولارات

(34)

مهداة إلى كلنا جميعا بعيد الفلانتاين 14-2-2015

كانت شمس ذلك النهار تظهر وتغيب بين الغيوم وهي تميل للغروب باتجاه الأتراك ناثرتا لونها الأحمر القرمزي على أقليم أرتساخ الذي بدأ يستعد شيئا فشيئا لإستقبال المساء

أرخى ليل أرتساخ سدول أجنحته على المكان وحجب شيئا فشيئا كل ماتبقى من نور وألوان وضياء

أشعل أبو الساك هذه المرة حطب مدفأته المقطوع من أشجار الصنوبر والبلوط والزيزفون والرمان وجهز لتلك الليلة قنينة من النبيذ الأحمر المنتج من كرمة وصناعة أرتساخ

وجهز عشاءً خفيفا من خبز وأجبان أرتساخ

وجهزت أم ساكو نفس أركيلتها ليكون بجانبها ذاك المساء

وتذكر أبو ساكو قبل أن ينسى قطرميز عسله الذي نصحه به البقال في قريته بأرتساخ بأن يشتريه ولايسأل عن غلاءه بالأسعار لأن مفعوله وقوته في تحويل الطاقات لاتقدر بأموال فكل ملعقتين منه لهما مفعول جبار فسلخ منه ملعقتين محاولا أن لاتراه أم الساك

جلس الأثنان مقابل بعضهما تفصل بينهما طاولة قصيرة من الخشب وضع عليها أبو الساك كل ما وصفنا وكانت مدفأة الحطب قد بدأت طقوسها في الحب والجنس بألسنة اللهب وهي تتراقص راسمة على الجدران وكل مايأتي أمامها لوحاتٍ راقصة من النور والظلال

كان كل شيء يسير وفق الأستراتيجية التي كان يعدها دائما أبو الساك ليصل في نهايتها إلى مبتغاه

سحبت أم ساكو أول نفس من أركيلتها وأطلقت من فمها دخاناً أبيض ملىء أرجاء المكان برائحة المعسل على تفاح

وأرتشف أبو الساك من كأس نبيذه رشفة تابعها بقطعة من الجبن مضغها وهو يسن فيها سناه

كانا صامتين يتأملان بعضهما وكأن كل واحد منهما يكتشف الاخر كما يكتشف المتصارع خصمه قبل العراك والنزال

فكانت أم الساك تبحث فيه عن القوة والرجولة والحنين

وكان أبو الساك لايرى فيها غير الجمال والإثارة والتشويق

كان المطر ينهمر غزيرا فوق سطح منزلهما الجديد ويسمع صوته وهو ينقر على صاج الحديد

وينساب مسرعا مع ميول السقف ليسقط من أطرافه من جديد

في هذا الجو الممزوج بطقوس الحب والجنس والشوق والحنين

سألت أم ساكو سؤالها المعهود : أتحبني ؟

أرتسمت على فم أبو الساك أبتسامة خفيفة ولكنه تدارك نفسه مسرعا متذكرا أستراجيته فقال: لماذا تسألينني دائما هذا السؤال وبمثل هذا الوقت بالذات

فردت أم الساك بأهتمام: أريد أن أعرف شعورك بالتمام

فقال أبو ساكو: لاداعي أن أقول أني أحبكِ فأنت تعلمين أنني أعمل كل ماأستطيع لكي تحبيني ألا يكفي هذا لك برهان أني أحبك؟

فقالت أم الساك: لا فأنا أريد أن أسمع منك هذه الكلمة

فقال أبو ساكو: أحبك

فضحكت أم ساكو و أرجعت ظهرها إلى الوراء لتتأمله جيدا وسحبت نفسا عميقا جدا من أركيلتها وضخت من فمها دخان أبيض كالسحاب وقالت كلمة واحدة فقط ألا وهي : كذاب

فقال أبو ساكو مصدوما بينه وبين نفسه بصوت وطئت فيه درجة علاوة الصوت ومستغربا: ليش كذاب؟

فقالت أم ساكو بصوت واضح : لأنك كذاب أنت لاتحبني

فقال أبو ساكو مسرعا: كيف لاأحبك أنا وأنت مع بعض منذ خمس وعشرين عام أعمل من الصباح حتى المساء لأقدم لهذا البيت كل مايحتاجه لا أصرف شيئا على نفسي هل أن أجلس بجانبك طول اليوم؟ أقول لك أحبك حتى تقتنعي أني أحبك يا أم ساكو العمل خارج البيت هو كل التعبير عن الحب لك

فردت عليه: صحيح ولكن هذا كله جزء من الحب أما الجزء الأهم فلم تقدمه بعد

فاستغرب أبو ساكو من هذا الكلام وقال: وماهو هذا الجزء المهم الذي هو أهم من كل ماأقدمه؟

فقالت أم ساكو: أن أشعر أنك تمتلكني

كانت ملعقتي العسل ورشفات النبيذ قد بدأت تفعل فعلها في جسم ورأس أبو الساك فقام واقفا من كرسيه واتجه بجسمه نحو أم الساك ومال بوجهه نحو وجهها وفمه من فمها فأدارت أم ساكو في اللحظة الأخيرة وجهها لجهة الشمال مبتسمة من حماسته الزائدة في أول المساء فتابع حركة وجهها يريد قبلة منها على الحساب

فأزاحت بيدها اليمنى وجهه وقالت له : روح قعود بمحلك فالسهرة لسا بأولى والنفس هسع حطيناه

فعاد بكل هدوء إلى موقعه الأصلي وقال بينه وبين نفسه لابأس لننتظر التعليمات

كان الحب بالنسبة لأبو الساك هو نجاح مهمته في كل مايرضي أم الساك سواءً كان في الليل أو النهار فبالنسبة له لايختلف عمله النهاري عن عمله الليلي طالما هما لنفس الهدف وهو إرضاء أم الساك

فعمله في كراج والده طول حياته منذ أن مشت قدماه في تصليح السيارات لم يجد فرقا بينه وبين عمله الليلي مع أم الساك فالمرأة والسيارة بالنسبة له لايختلفان فالأثنان يجب أولا أن تملأ خزانهما الأولى بالنقود والثانية بالوقود قبل أن تركبهما

أما الحب بالنسبة لأم ساكو فهو شحن يومي متبادل من الصباح حتى المساء بالكلمات الجميلة والشعور المرهف واللمسة الناعمة والأبتسامة من القلب ليصلا بهذا الكم الشحني في المساء إلى التفريغ في جسد كليهما حتى يعود الشحن في اليوم التالي من جديد في ملأ كيانهما

أشعل أبو ساكو إحدى شمعاته التي جلبها معه من بلاد الشام والتي كان يحتفظ بهم لمثل هذه الأوقات و أختار من بينهم ذات اللون الحمراء فالليلة ليلة عيد الفلانتاين ووضعها على الطاولة الخشبية التي تتوسط المسافة بينه وبين أم الساك

وألتفت إلى مدفأته التي كانت قد خمدت فيها النار وحرك حطبها بسيخ كان قد وضعه من جهتها اليسار فأذدادت إشتعالاً بأشتعال وصعدت ألسنة اللهب فيها نحو العلاء وراحت ترسم بظلالها ونورها لوحات تتراقص على وجه وجسم أم الساك لتزيد من جمالها وأنوثتها في ذلك المساء

وشرع أبو ساكو بالخطوة الثانية في أستراتيجيته التي بنظره ستسقط أي حواء بالضربة الفنية القاضية منذ الجولة الأولى على أي حلبة صراع

أنها استراتيجية إصابة الخصم مباشرة في نقطة ضعفه لتنشل حركته ويعلن الأستسلام

فنظر بعينيه المدبلتين إلى وجهها وقال بكل رقة وحنان: أتعرفين ياحبيبتي أنك أنت أجمل النساء؟

فردت عليه قائلة: لماذا ياحبيبي أنت متيقن من هذا الكلام هل أختبرت أنت كل النساء؟

فقال: لاداعي لأن أضيع وقتي وجهدي معهم فالمكتوب يبين من العنوان

ابتسمت أم ساكو لكلامه وقالت: ولماذا لا يفتح فمك بهذا الكلام إلا قبل أن تنام؟

كانت أم ساكو قد حفظت عن ظهر قلبها خلال مدة عمرها الطويل طقوس الجنس قبل النوم وكل السيناريوهات فأبو ساكو نقطة ضعفه أصبعه الذي لايوجعه إلا في هذا الوقت في المساء

لم يعرف صاحبنا ماذا سيجيبها فقد تفاجىء بهذا الكلام

فقال: لأنك بمثل هذا الوقت بالذات تكونين أجمل من أي وقت اخر خلال كل الليل والنهار

فضحكت بطلة قصتنا على جواب أبو الساك وقالت له: وهل أنت كنت تراني في بقية الأوقات؟

فرد أبو ساكو : أنا أراك ولو لم تكوني أنت أمامي في واقع الحال

فضحكت بطلة قصتنا وسحبت سحبة من مبسم أركيلتها ونفثت دخانها مباشرة في اتجاه وجه أبو الأبطال فغاب لثواني عن ناظرها من كثافة الدخان

كانت ملعقتي العسل ورشفات النبيذ الحمراء المزروعة والمصنوعة في أقليم أرتساخ قد أطلقت كل المواهب المدفونة في أعماق أعماق بطلنا من إلقاء للشعر على أم الساك

وأضاف: أنا لاأراك فقط أمامي في كل اللحظات بل أنا أتنفس من خلاك أكسجين الحياة

فضحكت وضحكت حتى اهتزت الكرسي بها ذات اليمين وذات اليسار

شعر أبو الساك أن كل أموره تجري على قدم وساق وكل شيء على خير مايرام

فقام من مقعده واتجه صوب بطلته وجلس على الأرض الممدودة بالسجاد عند قدميها بالذات

واتكأ برأسه على فخدها اليسار مائلا برأسه متجها بنظره نحو مدفأة الشتاء وأخذ يتأمل النار الموجودة فيها وكأنها ناره هو الموجودة داخل سرواله بالذات

لا فرق بينهما سوى بعدد الحطبات

وبقي صامتا ساكنا لا يأتي بأي حراك مدة لا بأس بها من الزمان

والتفت بعد ذلك باتجاه شمعته الموضوعة على طاولة العشاء فوجدها قد وصلت بطولها إلى عدة ميليمترات واحترقت تقريبا كلها ولم يبق منها إلا الشمع المذاب

فعرف من معلميته في ميكانيك السيارات أنه قد آن الأوان ليضع الفيتيس على الأول والضغط باليمين على البنزين ورفع اليسار عن الدبرياج

فمد يديه باتجاه الصدر وأمسك بهما وقام واقفا واضعا ساقه اليمين على ساقها اليمنى وساقه اليسار على ساقها اليسار وهم بالأنطلاق

ففاجئه شرطي السير بصفير صفارته منطلقا من فم أم ساكو منبها إياه وين رايح ياحباب فحاول تجاهل شرطي المرور بالأندفاع نحو الأمام بتغير وضعية الفتيس من الأول إلى الثاني والضغط على البنزين والرفع بسرعة عن الدبرياج لينطلق بسرعة لا يمكن أن يدركه بها أحد ويكون كل شيء قد تم مثل ما هو أراد

ومن كثرة سرعته في الوصول إلى مبتغاه نسي أهم شيء في قيادة السيارات

ألا وهو أن السيارة لن تمشي بك إلى الأمام إذا كنت لم تكن حاللا لفرام الأمان.....وإلى اللقاء في أقرب الأوقات وكل عام وأنتم بأحلى الفلانتاين ولاتنسوا ماحدث مع بطلنا وتنسوا مثله أن تحلوا فرام الأمان

(35)

مهداة لأصحاب القرارات

أنبلج الفجر ومن بعده الصباح وبحت حناجر الديوك من الصياح فقد أعلن اليوم التالي بدايته في أرتساخ

وأبو الساك في فراشه يتقلب ذات اليمين وذات اليسار فأستراتيجيته الثانية بالأمس لم تكلل بالنجاح,وراح يضرب أخماس بأسداس ويغط في ذلك الفراش ثم يظهر من تحت الغطاء, يدور في أفكار ليس لها أساس , همه الوحيد كيف يركب سيارته ويقودها إلى مبتغاه, وراح يتخيل سيارته من تحته شي فولفو شي ساب كلها من آخر طراز , وينقل بالفتيس كل الغيارات و يدعس على الدبرياج و البنزين للصاج و على الفرام من خوفه من أن يبلل ثيابه والفراش

يتابع قيادته للسيارات محتفظا بمالديه من طاقات مدخرا إياها لهذا المساء فأستراتيجيته الثالثة الان قد أعدها تماما وهو تحت الغطاء وضحك بينه وبين نفسه أن الليلة سيسقط خصمه ليس بالضربة الفنية القاضية بل باستنزاف قواه وتركه يسقط لوحده من كثرة التعب والأعياء مثل الثمرة عندما تسقط لوحدها عند الأستواء

فما عليه هو فقط سوى أن يكون صبورا ولايستعجل الوصول إلى مبتغاه فالطبخة الطيبة هي التي تستوي على مهلها فوق نار هادئة بكل هدوء ورواق

انتبه أبو الساك أنه لم يسمع أي صوت قادم لا من المطبخ ولا من الحمام ولم يشم أيضا رائحة قهوة الصباح وأم الساك مغادرة منذ مدة للفراش فقام يتفقد المكان فوجدها في الحديقة تعزل التنور الواقع بجانب مدخل الدار

كانت استراتيجية أم الساك هي أن لايأتي يوم تضطر لأن تمد يدها لأحد تحت أي عنوان لادينٌ ولا لجوء ولا مساعدات فهي تعتبر نفسها في ذلك الوقت قد أصبحت عاجزة وعالة على بني الإنسان وقد فشلت في هذه الدنيا حتى عن تأمين رغيف خبزها اليومي كل مساء

هذه الأستراتيجية التي تعلمتها منذ كانت طفلة صغيرة عندما كانت تصلي صلاة الأبانا في السموات مع جدتها الناجية من المذابح كل مساء ولم تفهم منها شيئا منذ ذلك الحين حتى الان سوى جملة أعطنا خبزنا كفاف يومنا لأنها كانت في أكثر الليالي تشتهي أن تشبع من الخبز قبل أن تنام

إنها بأختصار تخاف دائما من أن تجوع مرة ثانية وتكون تحت رحمة أحد ما مهما كانت التسميات أب أو زوج أو ابن أو حتى الله

أمضت النهار كله أم ساكو في تنظيف وترميم تنورها الجديد يساعدها في ذلك بطلها أبو الساك

كان التنور عبارة عن شبه غرفة بطول 3 أمتار وعرض متران إرتفاع سقفه حوالي متران متموضع في زاوية السور من الداخل من جهة الأمام يطل مباشرة على الطريق الذي يصل إلى الدار بفتحة كبيرة بمثابة شباك في صدر هذه الغرفة تقع فوهة التنور وبجانبها مصطبة لرق العجين بعرض متر وطول متران

فالبيت الذي استلموه في أرتساخ هو من البيوت المهجورة بسبب الحرب التي كانت دائرة من 1988 وحتى 1994 والتي انتهت بانتصار الأرمن على الأذربيجان والذي رممته لهم حكومة القليم بأرتساخ

واشترت 25 كيلو غراماً من طحين القمح من البقال الوحيد في قريتها بأقليم أرتساخ بسعر 200 ترام للكيلو الواحد أي مايعادل 0,5 من الدولار

وكومت بجانب التنور من الخارج كل ماتيسر لها من بقايا شجر يابس ساعدها في ذلك كل أطفال القرية بعد إنصرافهم من الدوام ووعدتهم أن يصنعوا من عجينها أشكالهم الخاصة لتخبزها لهم ليأكلوها بعد أن تخرج من بيت النار وطلبت منهم أن يأتوا في اليوم التالي يوم عطلتهم السبت في الصباح ليبدأوا مشروعهم في الفن والأبداع

كان ابو ساكو في ذلك اليوم منشغلا بأوامر معلمته الجديدة في ماتطلبه منه من تعليمات فأستراتيجيته الجديدة الثالثة تتطلب منه كل الروية وطولة البال لأنه لايوجد عنده غيرها في حالة الفشل لسمح الله

وكان يردد دائما الأغنية المعروفة (يا أم الساكو يا أم الساكو لمن حبيتك ماحدا حاكو ون حكى بيك لشيل حناكو ون حكيت أمك لشيل عيونا)

في ذات المساء من شهر شباط لعام 2015 نزل البطلان من جديد إلى حلبة مصارعتهم في مطبخهم بأرتساخ

وكان منظر القمر مدوراً كرغيف الخبز بالتمام يرسل ضياءه على كل أقليم أرتساخ

وبدأت المباراة بالمشهد التالي

كان بطلنا فيه راكعا أمام لكّن العجين الذي يحوي تقريبا 25 كيلو غرام من الطحين وبجانبه وعاء الماء الممزوج بالخميرة وبدأ بعجن العجين وفق التعليمات

وبدأت أم الساك بتدخين أركيلتها المعدة من قبله وهي جالسة على كرسيها بجوار المدفأة التي أشعل حطبها منذ قليل صبيها أبو الساك

وجد أبو الساك في ذلك المساء أن الوقت مناسبا ليطرح استرايجياته الثلاث في نفس الوقت

فرجع ظهره إلى الوراء ورفع رأسه عن لكنّ العجين وأخذ يتأمل في حواءه ونظر إليها وقال: قديش أنا الله مأنعم علي حتى منحني إياك يا أم الساك؟

فردت عليه قائلة: قديش ؟

ونفثت دخان أركيلتها في كل أرجاء المكان

فقال متابعا: وبأي كنيسة أنا مصلي حتى الله استجاب لدعاي؟

فضحكت أم ساكو وقالت: هذا الكلام الجميل كام مرة قلت لك لماذا لاتقوله في الصباح؟

وتابع أبو ساكو قائلا: ولك أنا شو ماقدمت إلى الله مابوفيلوا حقوا معي مقابل ها الهدية يلي منحني ياها فيكي

فتفرست في وجهه وقالت: أنت بتعرف ليش تزوجتني يا ضرسان

فرد عليها : لأنك أنت هديتي من الله

هنا لم تستطع أم ساكو من أن تضحك فهذه الأسطوانة قد ملت من سماعها كل مساء وقالت له اسمع جيدا ياحباب: أنت تزوجتني لأنه لم يصحلك أفضل مني بالمصاري يلي كانت معك

فأنزعج بطلنا من هذا الجواب ولكنه تذكر استراتيجياته الثلاث وأخذ الموضوع بكل مزاح وقال: طيب أنا رح أسئلك سؤال؟

فقالت: تفضل

فقال: لماذا أخترتيني من بين كل الرجال؟

فضحكت أم ساكو وقالت: لماذا برأيك؟

فقال: لأنك لم تجدي من يتقدم لطلبك أجمل مني وأكثر رجال

فردت عليه قائلة: هل تعرف لماذا أنا تزوجتك؟

فقال: لماذا؟

فقالت: مابتزعل إذا قلتلك الحقيقة؟

فقال: لا

قالت: لأخلص من والدي ومن سيطرته علي ليل نهار

فانصدم بطلنا بهذه الحقيقة وأخذ الموضوع مرة ثانية بالمزاح وضحك من كلامها ظاهريا ولكنه تفسر من كلامها هذا كل ماكان يستغربه من سرعة هذا الزواج

وعاد إلى لكّن عجينه يفش فيه خلقه من هذا الكلام

وعادت بطلتنا إلى دخان أركيلتها تنفسه في أرجاء المكان وأردفت قائلة: الله يرحمك يا أبي شو كنت تكره البنات وكان كل همك كيف تخلص منون وتجوزون لأي كان

كان أبو ساكو في هذه الأثناء يصب جام غضبه على العجين الذي راح يوجه إليه كل اللكمات وعامل حالوا مو سمعان

فاستراجياته الثلاث تتطلب منه كل الهدوء والروية وطولة البال

سرحت أم ساكو في عالمها الخاص وهي تنفث دخان أركيلتها في أرجاء المكان وتخيلت والدها وهو دائما منرفزا يصرخ في وجه الجميع جملته المعهودة (هم البنات للمات)

كان والدها عاملاً في معمل للأحذية والجزمات وكان كل همه من السادسة صباحا حتى اخر المساء هو السعي وراء تأمين لقمة العيش والسكن لبناته الستة وزوجته وحماته كمان فقد حاول جاهدا أن يرزقه الله بغلام ولكن مع تعدد المحاولات وفشلها كثرت عنده أعداد البنات

كانت الذكريات تتسارع راكضة على أم الساك فصورة والدها وهو ينصح جيرانه العرب في تزويج بناتهم بأسرع حال قائلا لهم: البنت لازم بابا تجوزوا بكير كتير لأنو إذا ماكسرتلوا راسوا بصير هو يكسرلك راسك بعدين

فقد زوجّها في عمر الخمصطاش من أول متقدم لها الذي كان بعمر الخامسة والعشرين وهو بطلنا أبو الساك

ووضعت ابنها الوحيد سركيس وهي في السادسة عشر من عمرها

كان لايهمه في زوج بناته شيئا لا الغنى ولا الفقر لا متعلم ولا غير متعلم لا الحسب ولا النسب لا الجمال ولا البشاعة لا أن يحب ابنته أو لا يحبها ولا أن تحبه ابنته أو لا تحبه المهم أن يكون شغيل من الصباح وحتى المساء وليس عنده أي سوسة مثل القمار أو النساء أو الشرب

كان كل عالم الرجال بالنسبة لأم الساك هو واحد الأختلاف فقط بالتسميات فذاك اسمه أب وهذا اسمه زوج وهناك اسمه ابن والكل يأخذ حاجته منها كلما تحركت غرائزهم فيشبعون ذاتهم وتبقى هي ماتبقى لهم من طعام للوجبة المقبلة

فأبوها أنجبها على هذه الحياة كمحاولة أن تصيب معه وتكون هي الغلام ولكنها بنظره بقيت محاولة فاشلة أنجبت له البنت ذات الرقم ثلاث فكان وجودها بالنسبة له مصيبة وهي التي أخذت مكان الغلام

وزوجها التي كانت لاتراه إلا في المساء لتقوم أمامه بواجبات الطاعة من تحضير الأكل وتنظيف البيت وغسيل الثياب وخدمة اخر المساء كجارية له في قصر السلطان

وحاولت أن تعوض عن كل الرجال بابنها وحيدها في أن تصنعه هي كما تشاء ولكن قضاءه كل الوقت من الصبح حتى المساء في دكان والده في مهنة الميكانيسيان أخرجته نسخة طبق الأصل عن أبيه أبو الساك

لم يعد بعد هذا السيناريو من الذكريات أي نفس لأم الساك على كل الرجال

ولم يعد لأبو ساكو أي قوة بعد عجنه لخمس وعشرين كيلو من طحين القمح المعد للخبز في الصباح

ولم يعد للنار الموجودة في المدفأة أي قدرة على الأشتعال فقد أُلتهمت كل مافيها وتحول إلى رماد

ولم يعد هناك ماأقوله لكم عن هذه الليلة فأستودعكم المساء وإلى اللقاء غدا عند تنور أم الساك.....

(36)

مهداة للذين يصنعون الخبز كل صباح

استيقظت أم الساك مع صياح ديوك الصباح وعاينت عجينها فوجدته أنه قد أختمر وحان وقت الإنهاء

فلبست ثيابها وتدثرت جيدا فالطقس باردا جدا في ذلك الصباح

وفتحت الباب وهمت خارجة فأستقبلتها نسمات الفجر بالترحاب ولفحت وجهها ببرودة دفعت فيها النشاط

واتجهت صوب تنورها فملأته قدر ماأستطاعت من أغصان الأشجار وأضرمت فيه النار فبدأت النارتعلو فيه شيئا فشيئا لتخرج من فوهته معلنة بداية الإحماء

كانت أم ساكو تعرف ما الذي تفعله بالكمال والتمام فقد كانت تقضي عطلتها الصيفية على مدى ستة أعوام عندما كانت طالبة في المرحلة الأبتدائية في مساعدة بيت جدها أهل أبيها في قريتهم في بلاد الشام وكانت اليد اليمنى لجدتها وخاصة في يوم الخبيز الذي يقع فجر كل سبت من ذلك الزمان

مضت قرابة الساعة على هذه الحال وهي تطعم فوهة التنور بالأغصان حتى أصبح شكلها كفوهة بركان من كثرة الأحمرار فسدت عند ذلك الوقت الثقب الموجود في أسفل التنور من الخارج بحجر كان ملقى في الجوار

أستيقظ أبو ساكو ونهض من فراشه وفقاً للتعليمات ولبس ثيابه وحمل لكنّ عجينه وخرج به لعند معلمته أم الساك ووضعه وفقاً لأوامرها على مصطبة التنور وعلمته كيف يقرص العجين إلى أقراص وبدأت هي بالرق مستعينتاً بوعاء الزيت الذي كانت تغمس فيه أصابعها حتى لايلصق العجين بهما وكانت ترش مكان التقريص بالطحين كل حين حتى لاتلتصق أقراص العجين من أسفلهما

قرّص أبو الساك عجينه إلى مئتان قرصا وفق التعليمات ثم أنتقل إلى مرحلة الرق يفعل كما كانت تفعل معلمته وأنتقلت أم الساك إلى المرحلة الأخيرة وهي وضع العجين المرقوق على الكارة ولصقه في جدار التنور حيث الحرارة مستعرة هناك

ومن ثم تخرجه بعد أن يكون وجهه قد بان عليه الأحمرار وانتفخت أساريره من كثرة الحرارة هناك

كانت الشمس قد بدأت تغزو المكان وتسطع بنورها الذهبي على كل أقليم أرتساخ

وبدأ الأثنان بجانب بعضهما برق العجين على شكل أقراص بقطر 75 سنتمتر وسماكة 0,1 من السنتمتر ولم يمضي على عملهما هذا قرابة الثلاث ساعات حتى بدأوا أطفال القرية بالتجمع حولهما فأعطت أم ساكو لكل واحد منهم قطعة من قرص العجين بعد أن تأكدت من غسل أيديهما و أخرجت طربيزة المطبخ الكبيرة على التراس من جهة التنور فركعوا حولها القرفصاء وبدأوا بصنع أشكالهم الخاصة كلاً بحسب تصوره في أقتناءه من ألعاب فهذا قد صنع طائرة وذاك قد صنع سيارة وتلك قد صنعت طفلاً وضع الصبي الذي بجانبها له قطعة من عجينه بين رجليه للدلالة عليه أنه صبي وليس فتاة فبدأوا الصبيان بالضحك جميعا وخجلت كثيرا كل الفتيات

كان أبو ساكو في هذه الأثناء منهمكا بتنفيذ التعليمات وأنهت أم الساك بدورها خبز كل ماكان من عجين لذلك النهار ووضعوا الخبز كله في لكنّ العجين وغطوه بالغطاء

وأخذت أم ساكو تخبز لكل الأولاد ماصنعوه من أشكال وفاز الجميع بجائزة أفضل نحات وحصل كل منهم على منحوتته مخبوزة جاهزة للإلتهام ومعها الجائزة الكبرى عبارة عن رغيف طازج من ماركة أم الساك ركضوا بهم جميعا كلاً باتجاه منزله ليخبر أهله مافعله في هذا الصباح

وإلى اللقاء مع الجولة الأخيرة من ليلة هذا اليوم السبت بين البطلان

(37)

مهداة للذين بكلمة الحق يدافعون

حل المساء على أقليم أرتساخ وحلت على صاحبنا كل شياطين الجنس مع حلول الظلام فقد انقضت فترة طويلة وهو محروم من ممارسة الجنس بأي شكل من الأشكال وهذه هي المرة الأولى في حياته التي يمر بها بمثل هذه الأحوال

ولم يعد يطيق أو أن يفكر بأي إستراتيجيات فالكيل طفح لديه ولابد من إفراغه بأي شكل من الأشكال

كان صامتا في ذلك المساء فلم يعد يغني يا أم الساكو .....يا أم الساكو ولم يعد لديه الرغبة في مجاملة أحد فهو له حق على زوجته ومن حقه أن يأخذه بأي شكل من الأشكال ولو اضطر للقوة في بعض الأحيان

تناول علنا كل ماتبقى من قطرميز عسله الذي لم يتبقى فيه سوى ملعقتان معلنا بشكل واضح أن في هذه الليلة لايوجد مزاح فأما قاتل أو مقتول لأن أنصاف الحلول قد أتعبته ولم يعد قادرا على الأستمرار

كانت أم الساك في هذه الأثناء تحضر أركيلتها لذلك المساء وهي تغني بكل رواق أنا لأرتساخ وأرتساخ إلي على لحن أغنية السيدة فيروز أنا لحبيبي وحبيبي إلي

أشعل ابو الساك نار مدفأته ووضع زجاجته من نبيذ أرتساخ بجانبه على الأرض فقد قرر أن يشرب منها مباشرة ولاداعي للإتيكيتات

بدأ منظر النار يعلو من زاوية المكان وبدا منظر أبو الساك من أمامه كملاكم جلس في زاوية الحلبة بأنتظار جرس البدء في النزال

وجلست بطلتنا مع أركيلتها في الزاوية المقابلة لحلبة المكان وراحت تبث دخان أركيلتها وهي على أحسن حال فكانت رائحة المعسل على تفاح تدخل في أنف صاحبنا وتفعل به ماتشاء كما دخلت تفاحة ستنا حوا على جدنا ادم وفعلت به كما شاءت في ذلك الأوان

أمسك صاحبنا بيمناه زجاجة نبيذه ومالها نحو فمه وغب منها قدر ما أستطاع ثم مسح بكم ثيابه فمه ووضعها على ركبته وهي مازالت ممسوكة بقوة بيمناه والتفت باتجاه إنثاه وقال بكل حدية: وبعدين لو ين كل ها لأكل هوا

ابتسمت أم الساك بكل هدوء ورواق ونفثت من دخان أركيلتها ماكانت تحبسه في جوفها في المكان وقالت: منيح سألت حالك هذا السؤال

فقال منفعلاً: أنا عم أسئلك إليك

فردت عليه قائلةً: وأنا عم أسئلك إلك

فقال: مانك شايفة حالك أنك عم تاكلي هوا زيادة

فقالت صارخة في وجهه: ليش لأني ماعملت متل مابدك؟ خلص لازم تفهم أنو انا ماعاد عندي استعداد ساير حدا بدي عيش بدي أتنفس حاجة مخنوقة وأنا على قيد الحياة ضاع عمري كلوا وصباي كرمال حضرتك ماتزعل وأنا خراك على زعلي أو رضاي

كان ابو الساك كمن تلقى بوكس على وجهه فهذه هي أول مرة تتحدث فيها ام الساك بهذه الطريقة وهذه اللهجة لم يعرف ماذا يفعل فقدْ فقدَ التوازن من اول النزال وراح يتسند على الحبال

التقت نظراتهما ببعض وهو يقترب منها وكان يتطاير من عينيه الشرار وشاهدت أم الساك فيهما نافذتين تطل من خلالهما على مافي داخله من حرارة وإنفعال

فهو منذ أن عرفته كان يخفي عنه وعنها هذا الوحش الذي ظهر الآن

وعلمت بعمق أنوثتها أنه لا مجال للمقاومة معه فإله الجنس قد سيطر عليه وهو خاضع له بكل امتنان

استسلمت له فنزعها من مقعدها ورما بها على الأرض وأدار وجهها عنه وجعل بطنها للأسفل وظهرها للأعلى ونزع عنها ملابسها من أسفل خصرها ومادون ونزع بدوره بنطاله والسروال وأدخل عضوه الذكري فيها وراح يتحرك فوقها إلى الخلف والأمام

كانت تحته كالجثة الهامدة بدون أي حراك وهو يلهث فوقها ولايتوقف عن السباب

كان الحدث عنيفا مقززا بالنسبة لها فكل ماكان يفعله الان كان يفعله في ما مضى ولكن بأسلوب منمق من الكذب والتصنع والأحتيال لم يختلف عن ماسبق سوى أنه هذه المرة كان واضحا له ولها أنه شكل من أشكال الإغتصاب

مضى الوقت سريعا دقيقة أو دقيقتان كانت كافية له أن يقضي شهوته التي خطط لها منذ زمان

فقام من فوقها وهي تنظر إليه تاركا إياها على الأرض لايلوي على شيء سوى أن يهرب من نظراتها فقد عرف في أعماقه ماذا فعل في ذلك المساء واتجه باتجاه فراشه واندس فيه ونام دون أي اكتراث فالخمرة والجنس كانا قد فعلا فعلتهما به واستكملت معه القصة بقطرميز كامل من العسل كان قد داوم عليه كل صباح ومساء

أما هي فقامت تجرجر نفسها إلى الحمام والدموع تملأ عينيها فاستحمت تحاول أن تغسل جسدها بماعلق فيه من شعور بالأشمئزاز ونامت ليلتها تلك على كنبة المطبخ

في اليوم التالي من صباح يوم الأحد لشهر شباط كانت الأمطار تهطل بغزارة على أقليم أرتساخ وكانت أجراس الكنيسة في القرية تقرع معلنة قرب بدء القداس

قام صاحبنا من فراشه واتجه باتجاه صوت الجرس وكأن قوة خفية تسيّره في ذلك الأتجاه كما سيرته البارحة باتجاه أم الساك وسار بطيئا والمطر ينهمر عليه ليغسله من إثمه الذي فعله في البارحة المساء

وشعر أنه ليس له في هذه الدنيا أي قرار فهذه القوة قادته البارحة للإغتصاب واليوم تقوده إلى القداس

دخل باب الكنيسة فعبقت في أنفه رائحة البخور التي كانت تملأ المكان وصدحت في أذنيه تراتيل ماقبل القداس

توجه إلى الخلف ليكأ ظهره على الجدار ونظر للأعلى فظهرت أمامه أيقونة القديس كيفورك وهو يمتطي حصانه الأبيض قافزا به فوق التنين وهو يغرز بكلتا يديه طرف رمحه الأمامي في فم التنين الذي من تحته يتلوى

وعلى الطرف الاخر للرمح كان صليب المسيح يظهر

وسمع وكأن صوت يصرخ من داخله يقول له: لايمكنك أن تقتل التنين يوما إذا لم تكن تركب حصانك الأبيض

خرج أبو ساكو من الكنيسة مسرعا لايريد أن يتابع القداس و لا أي شيء في هذه القرية ولا في كل مايسمى له أرمينيا واتخذ قراره النهائي الذي طال انتظاره ألا وهو إلى بلاد السويد عليه أن يرحل.....

ينتهي هنا الفصل الثالث من عنوان أبو الساك في أرتساخ

ونتابع مع أبو ساكو مغامراته في الفصل الرابع تحت عنوان أبو الساك في بلد السويد والسويديات

الفصل الرابع

(38)

أبو الساك في بلاد السويديات

وصل أبو الساك إلى السويد عاصمة الحضارة والرقي وحقوق الإنسان بعد أن دفع للمهرب مايعادل 7,000 دولار أميركي حصل عليها من ماتبقى من قيمة القرض الممنوح من حكومة أرتساخ والبالغ 10,000$ والذي تبقى منه 5,000 $ و بيعه لصيغة أم ساكو بمبلغ 2,500 $ وبقي معه 5,00$

كانت كل مامعه من مال واستقبله هناك ابنه ساكو بكل ترحاب

وبقيت أم ساكو وحيدة في أرتساخ بدون أي ذهب أو مال ورغم ذلك كانت سعيدة فقد حصلت على حريتها أخيرا وانعتقت من عالم الرجال الذي لم ترى فيه يوما أي خير لها لا في الماضي ولا الحاضر ولا تعرف إذا كان المستقبل سيغير شيئا مما عرفته عن هذا العالم

لقد كان ثمن حريتها 5,000 من الدولارات ومصاغ ذهبي أدعى زوجها في يوم من الأيام أنه لها هدية منه ولكن الزمان قد كشف الحقائق فكانت هي عبارة عن مطمورة خبيء فيها زوجها ذهبه الذي ذهب معه الان

(39)

مهداة لأرتساخ

كان حديث القرية في ذلك الزمان هو تنور أم الساك فقد نزل هذا التنور سعر كيلو غرام الخبز من 1,5 دولار إلى 0,75 دولار لأن الخبز القادم للقرية عليه أولا ثمن الوقود لخبزه ثانيا أجرة نقله ثالثا ربح المصنع والتاجر وأهم شيء هو جودته وطازاجته فبعد أن بقيت أم الساك بدون أي مال لم يكن حل أمامها سوى بخبز الخبز وبيعه للناس

كان كل من في القرية من السكان الأرمن الهاربين من الحرب في بلاد الشام وعددهم 30 عائلة هم من ضاقت بهم السبل ولم يكن لهم خيار اخر سوى بأرتساخ لأنهم لانقود لديهم للسفر إلى بلاد الأروبيان وأغلب العائلات منهم قد دفعت لواحد من العائلة قيمة القرض الممنوح لها من أرتساخ ليهرب به إلى السويد ومن ثم يلم الشمل بعد أن يحصل على اللجوء هناك

فتراهم جميعا لايعملون شيئا لأنهم مقررين أن يسافروا بين ليلة وضحاها والذي زرع بنقود القرض خلال الأربع سنوات التي مضت الجميع خسر نقوده لأن المحصول لم يكن كما كان هو يتأمل أو يُنتظر

لأن الزراعة هناك تعتمد على المطر

والبعض منهم ليس له خبرة في هذا المجال لذلك كان عمله شكل من أشكال المغامرة التي لاتخلو من الخطر

والكل يعيش على المال القليل المرسل من بعيد في ماندر

أدركت أم ساكو أن 20 هيكتار الأرض حصتهم والمزروعة بالقمح لهذا العام والمحطوط عليها 2,000 من الدولارات هي في مهب الريح إلا إذا الله ستر.....ونلتقي بالفرح

(40)

مهداة لجدة أم الساك

أوصل ساكو أبيه إلى مركز اللجوء وودعه هناك وعلمه ماذا سيكذب وأعتذر منه لعدم إمكانية إستقباله حيث يقيم فالبيت ليس له بل لبيت إحماه

دخل أبو ساكو إلى قاعة الأنتظار فتفاجيء أنها مملؤة بالعربان

أخذ رقما للإنتظار من الالة الموجودة عند الباب وجلس ينتظر دوره سامعا بين الجموع كل اللهجات السورية من الشمال إلى الجنوب من الغرب إلى الشرق دون أي إستثناء فالسوريون عادوا موحدين في بلد اللجوء هناك

ظهر رقم أبو ساكو بعد طول إنتظار فقام وتوجه إلى المكتب المشار فكان بإنتظاره الموظفة السويدية العجوز الشقراء مع مترجمها المتجنس قديما والقادم منذ زمن بعيد من نفس البلدان

ترجم له المترجم كلامها بأن عليه أن يطبع بصمات أصابعه العشرة على الأوراق وأن يقدم لهم مايثبت أنه سوري فأعطاهم هويته الخضراء وعند سؤالهم له هل عندك جنسية أخرى قال: لا

أعطوه رقما جديدا قالوا له :عليك أن تحفظه فهذا أنت الان وعليك أن تركب بالقافلة الواقفة هناك لتقلك مع كل من كان في الصالة لمخيم اللجوء في شمال البلاد ونحن سنعلمك بموعد اخر للتحقيق معك وإعطاءك اللجوء أم لا

انطلقت القافلة بهم بين الثلوج الكثيفة البيضاء وذهبت مبتعدة شيئا فشيئا حتى تواروا جميعهم عن الأنظار

في مخيم اللجوء البعيد هناك التقى أبو ساكو مع صديقه القديم أبو الحن فعادوا من جديد يستذكرون كل اللقاءات في بلاد الشام

في القرية بأرتساخ حيث كانت تقيم أم الساك

كان تنورها حديث كل القرية والقرى المجاورة وحتى كل أقليم أرتساخ فأن يصبح سعر كيلو غرام الخبز من 1,5 دولار إلى 0,75 دولار أي من 600 ترام إلى 300 ترام شيء لم يكن يصدق حتى عاينوه وشاهدوه الناس

كانت تكلفة الكيلو غرام الواحد من الخبز عل أم الساك 320 ترام أي مايعادل تقريبا 0,75 دولار أميركي وتبيعه ب320 ترام أي مايعادل 0,75 دولار أميركي وكانت تربح في كل كيلو 120 ترام أي مايعادل 0,3 دولار وكان الكيلو عبارة عن ثمانية أرغفة كل رغيف ثمنه 40 ترام هذا الربح يأتي من تعبها هي ومساعدتها

وكانت الطاقة الأنتاجية القصوى لها 25 كيلو غرام في اليوم أي 200 رغيف

هذه الكمية كانت كافية لنصف سكان القرية لأن النصف الثاني كان هو يخبز خبزه متل أم الساك

كانت تقوم بعملية العجن في المساء مع واحدة من النساء وتترك العجين ليختمر حتى الفجر لتقوم بحمي التنور قبل الصباح ولتخبزه مع مساعدتها

كان ربحهما الشهري0,3×25×30=225 دولار أي مايعادل 90,000 ترام

كانت توزعه عليها وعلى مساعدتها بالتساوي أي 112,5 دولار لكل منهما أي 45,000 ترام

هذا المبلغ القليل كان عليها به أن يقضيها لنهاية كل شهر مثلها مثل ثلث الشعب الأرمني في أرمينيا والبلغ عدده مليون الذي يعيش تحت خط الفقر وهو 2 دولار باليوم وهي كانت حصتها باليوم 3,75 دولار أي 1,500 ترام

وكانت أم ساكو مصرة على أن تبيع وتعمل بهذه الطريقة فالهدف لديها ليس الربح ومنافسة المصنعين والتجار بل الإكتفاء الذاتي وعدم سيطرة الأخرين عليها ولو بأي شكل من الأشكال

و أن تأكل خبزها بعرق جبينها هي أول وصايا الله للإنسان

وكانت تحب أن يتعلم الجميع منها هذه الخبرة لأن التنانير موجودة في كل البيوت بأرتساخ

وكانت لاتبخل على أحد في تعليمهم إياها فترى النساء يأتونها من كل الأقليم يقيمون عندها يومين أو ثلاث يساعدونها في العجين والخبيز حاملين معهم في القدوم زوادتهم من نتاج أرتساخ ومحملين في الذهاب من منجزاتهم من خبز أم الساك الذي كانوا أحيانا يتفنون فيه فتارة يضيفون الحليب عليه مع السكر وتارة يضعون مسحوق الفليفلة مع الزيت على سطحه وتارة يضعون شرائح اللحم عليه وتارة يصنعون الكعك كما في الأعياد

أدركت أم الساك عاجلا أم آجلا أن زراعة القمح محفوفة بالمخاطر وممكن أن تصيب معها سنة وسنة لا فقلة المطر والحريق وتساقط البرد مخاطر لها بالمرصاد وهي لاتحب أن تكون تحت رحمة أي منها في يوم من الأيام

فقررت أن تزرع حصتها العشر هيكتارات بشجر الزيتون رمز السلام والأمان ولكن المشكلة التي واجهتها أنه لايوجد من زرع الزيتون قبلها في كل أرمينيا وفي كل أرتساخ لتحصل منه على الغراس

فزرعت في حديقة دارها ألف بزرة زيتون في أكياس لتحصل منها على الغراس سترعاها لمدة سنة حتى تصبح جاهزة للسنة القادمة في شباط 2016

(41)

مضى على وجود أبو الساك في بلد السويد ستة أشهر وستة أيام بالتمام والكمال قضاها في مخيم اللجوء في شمال البلاد ذاق فيها برد شتائها وحر صيفها وعاد الخريف بفصله ايلول حاملا معه الأمطار ستة أشهر وستة أيام بالتمام والكمال ومازال ينتظر قرار دائرة الهجرة السويدية في قبوله أم لا

كان المخيم عبارة عن صالة كبيرة للطعام تتوزع حولها أربع مهاجع كبار تحتوي بداخلها على غرف صغار أبعاد كل غرفة ثلاثة أمتار بمتران ولكل عدة غرف لها حمام مشترك لقضاء الحاجات كانت غرفته تحتوي على أربعة أسرة كل اثنان منها بشكل طابقان

كان معظم من في المخيم من السوريين ولكنهم ليسوا كالسوريين الذين عرفهم من زمان فالكل هنا متدين يريد الأنتقام من النظام ومن السويديين الكفار كلا منهم بأسلوبه الخاص

كان المكان بالنسبة لأبو الساك لايطاق فلا السوريين سوريين كما عرفهم من زمان ولا السويد سويد كما تخيلها في بلاد الأرمنيان ولم يعد يعلم ماذا يعمل؟

فهو لم يعد يستطيع الإستمرار بالعيش في هذا المخيم ولم يعد يستطيع العودة إلى الوراء

وبدأ يضرب أخماس بأسداس إلى أن وصل إلى فكرة ستنقذه مما هو فيه وتخرجه من هذا المكان.....

وإلى اللقاء غدا في صفحتي على الفيسبوك لنعرف ماذا فعل أبو الساك؟

(42)

كانت أقرب قرية إلى المخيم تبعد عنه مسافة حواي ثلاثة كيلو مترات وكان كل فترة يذهب إليها لشراء حاجته من الدخان فمبلغ المائة دولار المقدم له من الحكومة السويدية كل شهر كانت هي كل ماكان يملكه في تلك البلاد وعليه أن يتقنن بها لتكفيه للدخان ولثمن النت وتشريج الموبايل

سار منذ الصباح الباكر بعد تناول فطوره المعتاد والذي هو عبارة عن ثلاثة صندويشات صغيرة جبنة وكاسة حليب وكاسة شاي يدخن معها سيكارته الصباحية خارج المطعم لأنه ممنوع التدخين داخل المكان

حث خطاه على هذا الدرب الشبه معبد باتجاه القرية في ذلك الصباح بعد أن أخبر إدارة المخيم أنه ذاهب للقرية حتى موعد الغداء

كان الطريق يلتوي أمامه يمينا ويسار كأفعى تلتوي بجسمها للتتقدم إلى الأمام وعند آخر منعطف أجتازه ظهرت له القرية أمام عيناه

لم يكن يدري ماذا سيعمل؟

وماذا ستقدم له هذه القرية في تلك المكان؟

ولكنه كان يدرك شيئا واحدا ألا وهو أنه الآن أصبح خارج مخيم اللجوء وأصبح يستطيع أن يتنفس الصعداء

دخل إلى الدكان الوحيد في هذه القرية والذي يجمع مابين البقالة والكافيه انترنيت والكافتيريا والبوتيك والبار

اشترا حاجته الشهرية من الدخان وعد ماتبقى معه من خرجيته الشهرية وقرر أن يتناول فجانا من القهوة لا لشيء لأنه لايستطيع الجلوس على الكراسي الموضوعة أمام المحل دون طلب شيء من الدكان

كان الهواء منعشا جدا ونظيفا والمكان هاديء لايعكر هدوءه شيء على الإطلاق والمناظر الطبيعية من أجمل ما رأته عيناه حتى من الصور التي بقيت في ذاكرته عن جمال الطبيعة الآخاذ

ولهذا السبب يمكن أختارت وزارة الصحة السويدية هذا المكان ليكون منتجعا صحيا لمعالجة مرضاها النفسيين في تلك المنطقة المحيطة بهذا المكان

فالمخيم كما سمع ممن حوله من رفقاءه القدماء أن هذا المخيم معمول بالأساس كمشفى أو منتجع للذين نفسيتهم تعبانة ويحتاجون للراحة وللإسترخاء

بعكسه هو تماما فقد تعب من هذا المخيم من كثرة الراحة فيه والإسترخاء

أخذ سيكارة مماتبقى من آخر باكيت من حساب الشهر الأخير وأشعلها ورجع إلى الوراء قليلا وسحب منها نفسا عميقا كاد أن ينهيها من أول شفطة

ونظر إلى البيوت التي حوله والتي انتقل إليها سكان مخيمه السويديين إلى هاهنا بعد أن أستأجرتها لهم وزارتهم من أصحابها الذين تركوها بسبب انتقالهم للمدن الكبيرى

ارتشف رشفة من فنجان قهوته ونظر في داخله وقدر بينه وبين نفسه كم رشفة عليه أن يرتشف منه حتى يستطيع البقاء على الكرسي جالسا حتى موعد الغداء في مخيمه في الطرف الآخر هناك

كان يتسائل فيما بينه هل ممكن ماوصل إليه البارحة يكون هو المخرج ؟

لمعرفة ذلك تابعو أبو الساك غدا في نفس الموعد والمكان

(43)

لم يجد أبو الساك أي مخرج مما هو فيه سوى الحصول على المال ولكي يحصل على المال في هذه البقعة الجغرافية المنسية في آخر العالم السويدي لابد له من أن يقصد باب واحد لاغيره وهو طلب العمل في هذا المصح العقلي الذي في هذه القرية

كان كلما يهم بالوقوف ليتجه بالسير باتجاه الإدارة كانت تخونه قدماه وتنحل ركبتاه من الصور التي تتسارع إلى مخيلته من وجوده مع هؤلاء الأشخاص

كان قد سمع من إدارة المخيم

أن العمل المطلوب في هذا المصح هو مرافقة الأشخاص أثناء تجوالهم في الطبيعة ومراقبتهم ومنعهم من الضياع أو إزاء نفسهم أو الإنتحار وكانت ردة الفعل من رفاقه السوريين على هذا العرض حدا بيشتغل مع المجانين نحن يلي فينا مكفينا

كان يتسآل بينه وبين نفسه لماذا يريد هؤلاءالسويديون الإنتحار هو الذي يحلم فقط بالحصول على جنسية بلادهم

نظر في ساعته فأدرك أن الوقت يداهمه ولابد من النهوض وترك المكان فقام عن كرسيه واتجه.....

واتجه أبو الساك باتجاه.....وأنا اتجهت باتجاه الفراش وتصبحون على خير وغدا نلتقي لنعرف أبو الساك في أي اتجاه سلك

(44)

اتجه أبو الساك باتجاه مخيم اللجوء وغادر القرية مسرعا لم يكن يدري ماأصابه فجاءة فالشعور بالخوف راح يسيطر عليه من مجرد التفكير بذلك المكان

كان الهواء منعشا ولكن أبو الساك كان يشعر بقلة الهواء وبالإختناق

كان الهدوء هو عنوان المكان ولكن أبو الساك كان الضجيج الذي فيه يصم له الآذان

كانت الطبيعة بجمالها وألوانها تسحر الألباب ولكن أبو الساك لم يكن يرى غير السواد

كان الأفق ممتدد أمامه إلى مالانهاية ولكن أبو الساك لم يكن يرى أمامه سوى الحيطان

أحس بتعب شديد يمنعه عن مواصلة السير فاتجه إلى أقرب جذع شجرة وجلس القرفصاء وأسند ظهره المتعب عليه

وبدأ يجهش بالبكاء لم يعد يريد شيئا سوى شيئا واحدا ألا وهو الخروج والخلاص من هذه الحال الذي هو عليها

سمع وكان صوتا يأتيه من فوق رأسه نظر للأعلى فرأى أم الساك تنظر إليه بإمعان أرتعب ورجع للوراء والتصق بجذع الشجرة

كانت تنظر في عينيه اللتان أشاحما عنها وسمعها تقول له: أنت كذاب منافق مافي عندك أي مشكلة أنت مشكلتك المال

اختفت الصورة واختفى معها الصوت

شعر بهدوء يلف المكان ونفسه

تنفس من الهواء المنعش عميقا عميقا

استمتع بالطبيعة المحتضنته بألوانها وجمالها

ونظر أمامه فوجد الأفق ممتدد إلى مالانهاية

ومضى باتجاه مخيمه قبل أن يطير عليه الغداء

(45)

استلقى أبو الساك على سريره في طبقته السفلى في تلك الليلة وشعر وكأنه مربوط بهذا الفراش بحبال مشدودة به لايستطيع منها الإنفلات هذه الحبال هي إنعدام المال

وسئل نفسه سؤالا ماذا أفعل هنا الآن؟

فحلمه عن اللجوء إلى السويد يبدو أنه ليس كما كان في البال

كان ضجيج جيرانه السوريين الثلاث ودخان سيكاراتهم قد عبا المكان

خرج إلى خارج المبنى وجلس على أقرب الدرجات وأشعل أول سيكارة من خسكاره لهذا الشهر

شفط شفطته الأولى وأخرج من فمه وأنفه وحتى من أذناه الدخان وسرح في عالم الذكريات

كانت أول المتأمل بهم أم الساك لم يعد يعرف هل كان يشتاق إليها حقيقة أم كان حرمانه من الجنس في هذا المكان هو سبب الإشتياق أم الإثنين مع بعضها

تخيلها في لباس مغري وبدون لباس في وجهها الضاحك والمبتسم على الدوام في علاقتهما الجنسية من فوق الحاف وتحت الحاف في جمال جسدها الآخاذ في نضارة وغضاضة لحمها وبشرتها فقد كانت تصغره بعشرة أعوام

وعاد السؤال من جديد يرن في أذناه ماذا أفعل أنا هنا الآن؟

ولماذا لا أعود إلى زوجتي أم الساك؟

ولكنه تذكر هنا أنه هو من سرق ثمن ذهبها المرهون وتركها وحيدة ودفعهم للمهرب ليأتي إلى بلاد السويديات

وسأل نفسه سؤالا جديدا كان دائما في البال وقد ظهر على السطح الآن أين هن تلك السويديات فهو منذ وصوله لم يرى غير السوريين والسوريات

أخذ شفطة ثانية من سيكارته وعبا فيها رئتيه من دخان لايعرف حتى اسمه سوى أنه هو أرخص ما كان موجود في ذلك الدكان

تذكر البائعة في ذلك الدكان وتأمل في ابتسامتها التي على الشفاه واستقباله له كلما كان في ذلك الدكان ولكن ماأرعبه أنها كانت تبدو له أنها كانت تكبره على الأقل بعشرة أعوام ولكنها مازالت ممشوقة القوام ومحافظة على جمال جسمها وعلى جمال مؤخرتها وهذا ماكان الهم الأول لأبو الساك

شفط شفطته الثالثة والأخيرة من سيكارته التي احترقت بسرعة من قوة الشفطات وأرسل في الهواء دخانها معلنا كقطار يقزف من مدخنته دخانه ليتحرك من محطته باتجاه الأمام

وقرر قبل أن يأوي إلى الفراش أن يوم غد هو مشوار إلى القرية المجاورة ليحسن لغته الإنكليزية مع صاحبة الدكان

وتصبحون على خير من أبو الساك

(46)

وصل أبو الساك إلى القرية بعد أن أخبر إدارة المخيم أنه سيغيب عنه لثلاثة أيام متحججا أنه سيزور ابنه في السويد وسيرى الأحفاد واتجه صوب الدكان فوجده مغلقا نظر في ساعته كانت تشير إلى الثامنة والنصف صباحا قرر أن يتجول قليلا في القرية ريثما ينقض بعض الوقت فيفتح الدكان لتنفتح معه كل أحلامه وأمانيه في هذه البلدان

كان الهدوء يسيطر على كامل القرية فلاأحد في الطرقات والكل نيام تجول لقرابة الساعة وعاد من جديد لهدفه المعتاد فوجده قد فتح واستبشر خيرا ودخل المكان

استقبلته صاحبة الدكان بابتسامتها المعهودة فألقى عليها تحية الصباح بكلمة :كود مورنينغ

فردت عليه بنفس التحية : كود مورنينغ

ابتسم وقال لها : هو آر يو

فردت عليه بابتسامة وانبساط: فاين تنكيو آند يو

فقال أبو الساك : نت باد

ضحكت وقالت: يو آر رايت

ابتسم أبو الساك وقال في نفسه المخلوقة عرفانة بوجعنا ولابد من أن تواسيني في الحال

ثم أردفت قائلة: آر يو فروم سيريا

فقال أبو الساك بحزن وصوت خافت: يس آيام

فسألته : هاو لونغ هاف يو بين إن ذا سويدش

رد أبو الساك: فور سيكس مآونس

فقالت له: ديو ليك هير

فأطلق أبو الساك سهمه الأول وقال: يس بيكوز يو آر هير

ضحكت كثيرا وانفرجت أساريرها وقالت: وآي؟

فصوب أبو الساك سهمه الثاني وأطلقه سريعا بيكوز يو آر بيتوفل

كانت ضحكتها في هذه الأثناء تملئ الدكان وطرقات القرية وكل مكان وقالت له: يو آر فاني تنكيو فور يور كآيندنس ثم تابعت قائلة: هآو كان آي هلب يو

هنا عرف أبو الساك أن السمكة وقعت في السنارة فقال: آو مي هآو كان آي هلب يو

فردت عليه: هآو يو كان هلب مي ؟

سكت هنا أبو الساك لأنه لم يعد يعرف كيف سيقول لها بالأنكيزي أنه لايملك سوى ذاك الذي خلفلو ياه أبوه المرحوم ومن أجله هاهو هنا الآن

كان سؤالها له ماذا تستطيع أنت أن تخدمني وبمامعناه أنك أنت لاجئ من بلاد الحرب فماعندك شيء لتخدمني به أنت مجرد متسول في بلادي

كان جواب أبو الساك لها : آي كان ميك آفري سينك فور يو

فردت عليه: آفري سينك

فقال لها مؤكدا جوابه: آفري سينك

فقالت له: آفري آفري سينك

قال أبو الساك: يس آفري آفري سينك

نظرت إليه وهي تتأمله من أعلى رأسه إلى أسفل قدميه ومن أخمص قدميه إلى أعلى رأسه وكأنها تستعرض مالديه وتتفحص البضاعة قبل أن تتورط في الشراء

كانت جملتها الأخيرة له : آوكيه وآي نت

(47)

تغريبة أبو الساك (التغريبة هي ليست في الأبتعاد قهرا عن المكان الذي نحبه التغريبة الحقيقية هي في ابتعادنا طوعا عن ذاتنا التي تحبنا)

خرج أبو الساك من الدكان وعلى قولة اهل مصر قفاه يقمر عيش فقد طلبت منه تلك السويدية أن يقوم بتنظيف الحمام كل مادخله أحد الزبائن وأن يجلي الصحون والكاسات والملاعق والشوك ويمسح الطاولات وينظف الأرضيات وكل يوم عليه أن يمسح واجهة المحل ويغسل لها سيارتها وينظفها من الداخل وأن يرتب المستودع خلف الدكان وينظفه كل ذلك مقابل طعامه وشرابه والنوم في زاوية المستودع ومبلغ شهري يعادل 500 من الدولارات

لم يعجب العرض أبو الساك ولو كان في مخيلته سيحدث ماهو في البال فقد كان عرض المخيم أفضل له على كل حال فهناك يحصل على كل شيء دون العمل ولكن هنا في 500 دولار ويبدو إذا طول باله سينال ماقد رسمه سابقا في مخيلته من مغامرات

اعتذر منها وقال أنه سيفكر بالموضوع وسيرد لها الجواب وغادر صوب مخيم اللجوء قبل أن يطير عليه الغداء

كان أبو الساك غاضبا من كل شيء لم يتوقع منها هذا الجواب بعد أن عمل لها كل هذه المقدمات وكان يظن أنها ستستقبله في الأحضان وينام عندها يومين أو ثلاثة أيام يمحي فيها الصور الجنسية التي في مخيلته والتي تلاحقه من مكان إلى مكان

وفي طريق عودته وصل إلى الشجرة التي ترأت له عندها أم الساك فوقف خائفا حائرا لايعرف ماذا يفعل هل يمضي إلى الأمام أم يعود إلى الوراء لأنه كان كلما اقترب في سيره يدنو من مكان الإستذكار

اقترب من ذلك الجذع وحضنه وتخيله أم الساك وبكى مسندا رأسه عليه وسمع صوتها يقول له : مطول عندك يا رجال؟

ابتعد إلى الوراء سريعا وكان الخوف يغلفه من رأسه إلى قدماه نظر أمامه وحوله لم يرى أحدا سوى الأشجار فابتعد رويدا رويدا ومشى سريعا باتجاه الغداء

(48)

استلقى أبو الساك على فراش سريره بعد الغداء وراح يفكر في العرض المقدم له من معلمته الجديدة فكر فيه قليلا فوجده مش بطال لأن في نهاية الشهر سيكون في جيبه 500 دولار منها ومائة دولار من اللجوء وبعد صدور قرار الحكومة السويدية بقبوله كلاجيء يستطيع العمل براتب لايقل عن 1500 دولار شهريا لأن الحكومة السويدية تدفع لصاحب العمل 80% من أجرة اللاجيء لكي تشجع أصحاب العمل على تشغيل اللاجئين وهذا العرض ينتهي بعد ستة اشهر وعلى صاحب العمل إن أبقى عنده اللاجيء فعليه أن يدفع له كامل أجرته من عنده أو يذهب أبو الساك لتعلم اللغة السويدية وعليه ألايغيب عن المدرسة وهنا تدفع له الحكومة السويدية مايعادل 1000 دولار في الشهر لقاء المسكن والأكل واللباس والمواصلات وهذا فقط يستمر لمدة عامين سواء تعلم السويدية أم لا

قلب الموضوع يمينا ويسار وقرر أن يطرح الموضوع على صاحبة الدكان غدا بعد الإفطار ويقبل بالعمل عندها إذا وافقت أن تبقيه عندها بعد صدور القرار فالنوم والأكل عندها سيمكنه من توفير كامل المبلغ المقبوض كل آخر شهر يعمله في هذه البلاد

(49)

خرج أبو الساك مسرعا بعد الفطور في صباح اليوم التالي وأخبر الإدارة أنه سيبقى لوقت غير محدد خارج مخيم اللجوء وطلب منهم أن يعلموه بإتصالهم معه على الموبايل عن قرار الحكومة السويدية بحقه في قبوله أم لا

وأخذ معه حقيبة ظهره التي تعود عليها بعد أن غادر بلاد الشام فهي تحتوي على بدلين أو ثلاث وبعض التيشرتات وجاكيت لأيام البرد في بلاد الأغتراب

تجاوز شجرة أم الساك في طريقه وقد كانت على يسراه دون أن يلتفت عليها فعليه أن يلحق معلمته الجديدة قبل أن تفتح الدكان

وصل قبل قليل من موعدها فجلس على حافة الطريق وهو يلهث من إستعجاله طول الصباح

كانت صاحبة الدكان تسكن في القسم العلوي من البناء ذو الطابقين السفلي للدكان والعلوي للسكن وماهي إلا دقائق وقد ظهرت للعيان والإبتسامة على ثغرها من رؤية أبو الساك

وقف مرحبا بها وسار باتجاهها قائلا: كود مورنينغ مي تيتشر(صباح الخير يامعلمتي)

لم تستطيع تمالك نفسها من كثرة الضحك من منظره أم من إنكليزيته أم من سعادتها بأن شروطها عليه قد وجدت عنده آذان

أخذ مفتاح الدكان من يدها وفتح لها الباب واستقبلها بكل ترحاب

كانت دائما تتأمله باستغراب وتهز رأسها من علو إلى إنخفاض وكأنها تريد معرفة نهاية هذه الحركات

حدثها بأنكليزيته المتلعثمة أنه وافق على شروطها وأوصل إليها فكرة أنه بعد صدور قرار اللجوء عليها أن تدفع له مايعادل 1500 دولار في الشهر بدلا من 500 لأن القانون السويدي يحدد الحد الأدنى للأجرة في هذه البلاد

وقاطعته عن حديثه بأنها تعرف كل القوانين وأخبرته الخبر الصاعق بالنسبة له أنها لن تدفع له سوى 500 دولار لأنها تعتبر أن الأكل والمسكن المقدمان له يعادلان 1,000 دولار

هنا شعر أبو الساك أن حساب حقله لم يطبق على حساب بيدرها وصحى من حلم 1500 دولار وعاد إلى 500 دولار

وفهم منها أنها تفضل أن يصدر قرار منحه اللجوء وبعد ذلك تسمح له بالعمل وفق ماقالت له من تعليمات

استدار أبو الساك إلى الوراء وعاد في رحلته المكوكية مابين المخيم والدكان

وسار بدون إستعجال فموعد الغداء بكير عليه

كان الخريف لشهر ايلول 2015 قد بدأ يعلن عن قدومه فنسمات الهواء أصبحت باردة والغيوم تحجب خلفها شمس ذلك النهار وصوت دعسات قدميه على الأوراق اليابسة المنتشرة على الطريق كانت تكسر صمت ذلك المكان

وصل إلى شجرة أم الساك وجلس على أرضها وأسند ظهره على جذعها كما كان يفعل من زمان ومال برأسه إلى الخلف حتى لامس الساق ونظر إلى أعلى فرأى الأغصان وكأنها تحيط به تحتضنه وتلفه إليها بكل حب وحنان

بدأت السماء تزخ مطرها على المكان وكأنها تشعر بماكان يشعر به أبو الساك في حاجته إلى البكاء ولكن مقلتيه كانتا قد جفتا فكانت السماء بديل عنهما

أحس باللامعنى وعدم الجدوى من كل هذه الحياة وبفقدان الأمل من كل البلاد أنه منذ أن وعي على هذه الحياة ينتظر شيئا ما ولايحصل عليه إلى الآن

أتعبه الجري وراء المال ومن قوة تسيطر عليه لايعرف كيف يتخلص منها سوى بالجنس سواء كان بالأفكار أو المشاهدة أو الأحتكاك مع النساء

تذكر زوجته أم الساك وشعر أنها مثل هذه الشجرة الثابتة في المكان تمر عليها كل الفصول من برد وحر وتبقى واقفة شامخة لايهز ها ريح ولاتكسر فيها الأغصان

تأمل في شجرته وكم هي متجذرة في المكان وقارنها مع أم الساك كم هي متجذرة في أرمينيا وأرتساخ كلاهما لاينتظران شيئا من أحد فكلاهما يتكلان على نفسيهما وعلى الله بعكسه هو الذي أعياه التعب من كثرة اللف والدوران

راح المطر ينهمر بقوة ويسمع صوته وهو يرتطم بالأوراق اليابسة الملقاة في المكان فيصدر لحنا إيقاعيا عجزت عنه كل الآلات الموسيقية التي عرفها إلى الآن

وراحت رائحة التراب الممزوجة بالماء تغزو أنفه وتنقله إلى عالم مسحور بالجمال استسلم فيه لهدوءه وسكونه وموسيقاه

سئل نفسه سؤالا لم يخطر على باله منذ زمان : ماذا تفعل أم ساكو في هذه الأثناء؟

وأغمض عينيه وراح يصغي ليسمع الجواب فشاهدها خلف تنورها وقد انتهت من إعداد الخبز في أرتساخ اشتهت نفسه من هذا الخبز الساخن الطازج الممزوج بتعب أم الساك ولكن هيهات يابو الزولف فالمسافة بينهما آلاف من الكيلومترات

وشعر بالوحدة والعزلة في هذا المكان رغم أنه على أرض بلاد السويد هو الآن

شعر أبو الساك بالجوع فنظر في ساعته فكانت تشير إلى اقتراب موعد الغداء فقام من مكانه ونفض مؤخرته مماعلق بها من تراب وسار باتجاه مخيمه لتناول الغداء

كان المطر مازال يهطل مبللا إياه من رأسه إلى قدماه شعر برغبة بأن يفتح زراعاه لتغسله هذه الأمطار مماعلق به من آثام فسار في طريقه كطائر فاتح جناحاه

وصل إلى مخيمه فتفاجأ بأعداد كبيرة من السوريين القادمين الجدد بالباصات ليستقروا معه في ذلك المكان فأعداد اللاجئين السوريين التي غزت بلاد السويد كانت تتزايد مع الأيام

سأل أصدقائه السوريون معه كيف سيتسع هذا المكان لكل هؤلاء فأجابوه ضاحكين : شو هنن جايبينون على أوتيل ٥ نجوم بيكفي مستقبلينا ومستقبليهم من القتل والدمار

كان القادمون الجدد يرفضون النزول من الباصات لأن المكان لم يعجبهم وهو بعيد عن مظاهر الحضارة التي ينتظروها في بلاد الأروبيان

(50)

كانت أعداد اللاجئين السوريين تزداد يوما بعد يوم ويزداد معها أعداد غير السوريين الراغبين بالهروب من واقعهم المزري باللجوء إلى أوروبا حيث الأمان والأستقرار وفي تلك الباصات المحملة بالنساء والأطفال والرجال المتعبين من رحلة الضياع والبحث عن الأمان وجد أبو الساك نفسه في رحلة ليس لها نهاية

تم إنزال الجميع من الباصات وفرشت لهم أرضية المطعم وممرات المهاجع بالفرشات كان العدد قرابة المائتين ازدحم بهم المخيم مع ماكان قبلهم من ناس ليبلغ العدد الإجمالي قرابة الثلاثمائة شخص

كان بكاء الأطفال وضجة اهلهم طوال الليل والنهار وازدحام المكان وانشغال الحمامات والتزاحم على الأكل كل ذلك دفع بأبو الساك للعودة إلى معلمته ليطلب منها الأسترحام بقبولها بالعمل عندها بأي شكل من الأشكال

غادر المخيم في صباح أحد الأيام واتجه مسرعا باتجاه الدكان تجاوز شجرة أم الساك التي على يساره دون أن يلتفت عليها فلايريد أن يحادثها أو يتذكر ماالذي كان

وصل إلى مبتغاه وطلب من صاحبة الدكان العمل بكل شروطها وأن يباشر العمل قبل الحصول على اللجوء فرفضت لأنها لاتريد أن تدخل في المتاهات ولكن عرضت عليه فكرة غريبة لم يكن يتوقعها في يوم من الأيام

كان العرض المقدم لأبو الساك هو أن يعمل ببلاش لقاء نومه وأكله وشربه

لم يعارض أبو الساك العرض بل قبله بكل ترحاب وباشر به منذ الآن

فلم يكن لديه اي خيار فالعودة إلى المخيم والعيش فيه كان بالنسبة له من سابع المستحيلات

أمضى يومه الأول كله في غسل الصحون وتنظيف الحمامات ووصل إلى نهاية يومه وهو شبه منهار فالوقوف طوال اليوم الذي لم يألفه منذ زمان أشعره بالتعب وأنهك كل قواه أخذ الأذن من معلمته إذا كانت تسمح له بالذهاب إلى النوم والإستلقاء ليستعد ليوم غد وهو بأحسن حال

نظرت إليه من فوق إلى أسفل وقالت له: أوكيه وآي نت

وذهبت واغلقت الدكان من الداخل وطلبت منه أن يصعد معها إلى غرفتها من خلال الدرج الواصل مابين طابقها في الأعلى والدكان ليقدم لها خدمة أخيرة قبل أن تأوي هي الأخرى إلى الفراش

صعد الأثنان الدرج هي في المقدمة وهو يلحقها بخطوات كانت مؤخرتها تهتز أمامه يمينا ويسار وتنورتها تهتز معها لترتفع قليلا وتهبط فيهبط معها ويرتفع ماكان يملكه أبو الساك

على قدر ماكان أبو الساك متعبا ومنهكا ويشعر بالنعاس ولايلوي على شيئا سوى أن يأوي إلى الفراش على قدر ماأصبح عليه الآن من نشاط وحيوية وقوة وهدفه هو نفسه أن يصل إلى أقرب فراش

كانت مؤخرتها تدفع فيه كل ذلك الحماس وتنقله من عالم الإحباط والإكتئاب إلى عالم اللذة والقوة والإنبساط

خفف من سرعته في صعود الدرجات ليصبح الفارق بينه وبينها يتيح له من زاوية رؤيته مشاهدة أكثر لمابين الفخدان

اختفت فجأة عن شاشة راداره ووضعت صاروخه المتحفز للإنطلاق بحالة من الضياع فالهدف لم يعد ضمن مجاله الحيوي لينقض عليه في أقرب مكان

سارت باتجاه غرفتها وصعد أبو الساك بسرعة ماتبقى له من درجات ولحق بها ودخل ورائها على غرفة نومها ووقف أمام معلمته الجديدة ينتظر منها أوامر آخر المساء

التفتت معلمته السويدية إلى الوراء فتفاجئت بوجوده في وسط الغرفة طلبت منه الخروج وأن لايدخل مرة أخرى إلى غرفتها بدون استأذان وأن يخلع حذاءه من رجليه عندما يطلب منه الصعود للطابق العلوي

اعتذر أبو الساك بإنكليزيته المفشكلة والتي ازدادت تفشكلا مع تفشكله في هذا الموقف الذي وجد نفسه فيه على غير ماكان يفكر فيه من موال

خرج من الغرفة واتجه لينزل الدرج الذي صعده من قبل هنيهات

فنادته وهي منزعجة قائلة له بصوت عالي

Who allowed you to go

من سمح لك بالذهاب

توقف والتفت إلى الوراء لم يفهم ماذا قالت بالضبط واتجه نحوها وقال لها:

Sorry I did not understand what do you want from me

آسف لم أفهم ماذا تريدي مني

قالت بنرفزة:

How will you know what I want from you if I did not say yet

كيف ستعرف ماذا أريد منك إذا أنا لم أقوله بعد

استغرب أبو الساك بينه وبين نفسه ماتقوله وقال في قرارة نفسه ماذا ستكون تريد مني في مثل هذا الوقت وفي هذا المكان غير يلي هو ببالكم يا أصدقاء

قال لها بصوت خافت

I'm in your serves

أنا في خدمتك

وطاطأ رأسه انحناء لها بكل احترام

طلبت منه أن يذهب إلى مكانه المخصص للنوم في زاوية المستودع بكل إنزعاج وقالت له بعصبية:

The next time you do what I say not what you think

في المرة المقبلة تفعل ماأقوله لك وليس ماتفكر

نزل أبو الساك من أعلى الدرج إلى أسفله ونزلت مع نزوله في كل درجة رغبته التي كانت في بالكم وباله ياشباب

(51)

كان نزول أبو الساك من على الدرج بالنسبة له هو نزوله عن كل ماكان يحلم به في بلاد السويد فمع كل درجة كان ينزلها كان يزيح من مخيلته آلاف الصور والأحلام التي بناها عن هذه البلدان من حلمه بالعيش في الرفاهية إلى حلمه بتكديس الأموال إلى حلمه في نجاح عمله في إصلاح وتصليح السيارات إلى ...إلى ...كل ماهنالك من أشياء

سار باتجاه مستودعه ووصل إلى مكان نومه استلقى بهدوء على فرشته وتأمل في ماحوله فوجد نفسه مثله مثل هذه الأشياء المركونة معه تنتظر من يريدها للشراء

كان برد شهر تشرين الأول من عام 2015 قد دخل بلاد السويد حاملا معه رياح الشمال الباردة التي دخلت في كل بيت وفي مستودعه هذا وفي داخله هو بالذات

أحس بالبرد يصل إلى عظامه

تغطى جيدا بماتركت له من حرامات ولف جسمه بها حتى أصبح كالبيرقة فيها ولكن برد السويد لا تمنعه كل هذه الأشكال ولايستطيع عليه غير تشغيل الشوفاج ولكن في مستودعه هذا لايوجد حتى السيكسيونات

تقلب في فراشه يمينا تارة وتارة لجهة اليسار لايستطيع النوم لم يعد يعرف هل هو من شدة البرد أم من الكم يلي أكله آخر هذا المساء أم من الأثنين معا ياشباب

وهو في هذه الحالة التي هو عليها من البرد وخيبة الأمل و فقدان الأحلام

سمع صوت أقدام معلمته وهي تنزل الدرجات أنصت جيدا لهذا الصوت فوجده يقترب من باب مستودعه خفق قلبه من جديد وعادت له الأحلام و شعر بنشوة الإنتصار وقال في نفسه : لم تستطع النوم لوحدها في الأعلى فجاءت برجليها لتستجدي مني ما أملكه من قوة وعنفوان لتشبع رغبتها العطشى للرجال وأنا لها بالمرصاد

تخيلها قادمة بلباس نومها الشفاف المغري تفوح منها رائحة البارفانات تسير نحوه وتصل لحافة فرشته وتركع بجانبه لتطلب منه السماح

تجاوز الصوت باب مستودعه وسمع صوت حركتها آتية من الدكان تسآل بينه وبين نفسه ماذا تفعل في هذا الوقت المتاخر من الليل في هذا المكان

قام من فرشته التي دخلها بثيابه من شدة البرد وشدة الإكتئاب وضغط زر الكهرباء الأقرب إليه وفتح باب المستودع فوجد معلمته السويدية واقفة عند الرفوف الخاصة لحاجات الرجال تجمع منها وتضعها في أكياس

انتبهت إليه ونادته باسمه : آير تور (come here) تعال إلى هنا

ركض أبو الساك (آير تور) باتجاهها قائلا (Yes my boss) : نعم معلمتي

وقف أمامها بكل استعداد نظرت إليه من أعلى إلى أسفل وهزت برأسها قائلة

Airtour are you angry of me

آير تور هل أنت غاضب مني

رد آير تور باقتضاب (no) : لا

أجابته بابتسامة خفيفة (You are angry) : أنت غاضب

سكت آير تور ولم يفتح فاه وهز برأسه من أعلى إلى أسفل دلالة على موافقتها على الكلام

قالت له

حط حالك محلي كنت بتعمل نفس الشي: (Be my place you would do like what I did)

لم يفهم أبو الساك ماذا قالت له بالظبط فأنكليزيته يادوب يزبط فيها شي يوصلو للأكل أو للنوم أو للسيكس

بان على وجهه أنه لم يفهم عليها فقالت له (Take this bag and follow me up) : خذ هذه الأكياس وأتبعني إلى فوق

نظر أبو الساك إلى داخل هذه الأكياس فوجد فيها معجون وشفرات للحلاقة وكلسونان وفينالتان وعلبتي شامبو وليفة ومنشفة للحمام

سجلتهم له على الحساب

ابتسم في قرارة نفسه وعلم الآن علم اليقين أن الموضوع الذي في باله قد تحقق الآن

قضيا حاجتهما من بعضهما وأرسلته إلى مستودعه لينام هناك بعد أن حلّس ولم يعد ينفعها لشيء على الإطلاق

(52)

بدأ الفجر يلون سماء أرتساخ بلونه الفضي وراحت رائحته تمتزج مع كل ماهو موجود هنيك فبدت قرية أم الساك كلوحة حية في طرف هذا الكون البديع

أنه اليوم الأخير من شهر تشرين الأول لعام 2015

بدأت الحركة تدب في القرية شيئا فشيئا ومع دبيبها بدأت الحياة تدب في كل شيء

كان الطقس باردا في ذلك الصباح مثله مثل كل الصباحات في ذلك الوقت من السنة

أشعلت أم الساك تنورها وأشعلت بأشتعاله كل تنانير القرية والقرى المجاورة فخلال ثمانية أشهر من تجربة ام الساك في العجن والخبيزوفي توفير المال على نفسها وعلى الآخرين

أصبح في كل بيت تنوره الخاص به لخبز الخبز والفطاير وشوي اللحم والطبخ وكل مالذ وطاب

كانت النار الخارجة من فوهة التنور تلون ماحولها بلون أرجواني وتضيء المكان كمنارة يهتدي إليها كل جائع وتائه في هذا المكان

وصلت مساعدتها في تقريص العجين ورقه والتي حلت مكان أبو الساك بعد رحيله

ألقت تحية الصباح على أم ساكو قائلة Բարի լույս باريلوس (صباح الخير)

وباريلوس للجميع

(53)

كانت هذه السنة سنة 2015 سنة خير على كل أرمينيا وخاصة على أقليم أرتساخ فا المحاصيل في الطبيعة كانت كلها بأحسن حال

فالعشرين هيكتار التي زرعتها مع أبو الساك حصدتها منذ قرابة الشهرين عشرة أضعاف أي 40 طنا ولكن مع نزول سعر كيلو القمح من 150 ترام إلى 100 ترام ومع ارتفاع الدولار من 400 ترام إلى 500 ترام وصل سعر محصولهما إلى 8,000 دولار بدلا من 15,000 دولار

أبقت حوالي 9 طن لخبزه في تنورها على مدار العام

وأبقت أيضا 4 طن لزراعتها لموسم هذا العام

وبقي عندها 27 طن

باعت منه 15 طنا بسعر 3,000 دولار

دفعت مايعادل 1,000 دولار كرد للقرض الممنوح من أقليم أرتساخ عنها وعن أبو الساك ودفعت أيضا مايعادل 2,000 دولار أجرة الحصاد والنقل وثمن للأكياس

وبقي عندها 12 طن قمح وضعته في بيتها في أكياس كل كيس بمائة كيلو غرام أي 120 كيس

بجانب 90 كيسها المعد للخبز للعام القادم ياشباب

(54)

كان مربح أم ساكو وأبو ساكو من زراعتهما وحصادهما لحصتهما من أرض أرتساخ الممنوحة لهما من قبل حكومة الأقليم هو على الشكل التالي:

كانت قيمة المحصول تعادل 8,000 دولار والبالغة 40,000 كغ أي مايعادل 10 أضعاف مازرعوه دفعوا مايعادل 2,000 دولار ثمن للحبوب وزراعتها

ودفعوا مايعادل 2,000 دولار أجرة حصاد ونقل وثمن للأكياس

وبالتالي يكون ربحهما 4,000 من الدولارات

ودفعوا مايعادل 1,000 دولار إيفاء للقرض المقدم لهم من حكومة أرتساخ والبالغ 10,000 دولار وبالتالي بقي معهما 3,000 دولار قسمتها عل 12 عدد أشهر السنة فكان الجواب 250 من الدولارات

هذه 250

من الدولارات ستكفي مصروف عائلة كاملة في أرتساخ

وخطر على بالها سؤال أفزعها هذا السؤال يقول : ماذا لو أن المحصول لم ينجح ماذا كان يلي صار لأنه نجح بشكل جيد ولم يغطي المصروف الشهري لأي دار

وأدركت أم ساكو عندها لماذا هذا الأقليم أقليم أرتساخ خالي من السكان فمساحة الأقليم تعادل 11,500 كيلو متر مربع وعليه 150,000 فقط من السكان

وتذكرت ماسمعته من قصص عن العيل السورية التي لجئت إلى أرتساخ أنه خلال 4 سنوات كانت قد خسرت كل ما لديها وأصبحت مديونة لحكومة أرتساخ لأنه إذا سنة لم يأتي المحصول كما تتوقع فسيقع عليك اللوم والدين وفقر الحال ولاحل لديك عندها سوى شيئان إما الهروب من جديد من هذا المكان أو الإستسلام لهذا المكان لتعيش متسولا عليه وعلى السكان

ضحكت في سرها وهي تقول معو حق أبو الساك أن يطفش على تلك البلاد

وحتى لا تقع أم الساك بما وقع به بقية الأرمن العربان كانت لها استراتيجيتها التالية والتي ستأتيكم في القادم من الأيام

(55)

أدركت أم الساك تلك المرأة البسيطة التي لم تحصل سوى على الشهادة الأبتدائية أن مايحدث في كل هذه الجموع البشرية ابتداً من أهالي قريتها إلى كل الكرة الأرضية

هو بسبب طمع ناس وغباء ناس

فنزول سعر محصولهما من قيمة 15,000 دولار إلى 8,000 دولار أي بسرقتها بمايعادل 7,000 دولار أي نصف مالها هي المرأة الفقيرة الموجودة في آخر العالم أدركت فيه أن يد السارق تطال الجميع ومافي حدا نافد وأن هذه اليد ستظل تلاحقها حتى تخليها على الحديد

فجيرانها في هذه القرية البسيطة لهم أكبر دليل على ماينتظرها من هذه اليد الخفية

ودارت في رأسها أسئلة كثيرة

من أخذ هذا الفرق؟

وكيف أستطاع أن يأخذه؟

وكيف أخذه؟

ولماذا لم تكن قادرة على أن تفعل معه شيئا؟

أسئلة كثيرة دارت في رأسها ولا يحلها عند أم الساك سوى نفس الأركيلة

.....

وأحلى نفس أركيلة للجميع وأنتو عم تدخنوه فكروا مع أم الساك شو حلها لها المعضلة الكونية

(56)

جلست أم الساك من بعد ظهر يوم الأربعاء الواقع في 4-11 -2015 أمام منزلها الواقع على تلة القرية المطلة على كل ماحولها

فأمامها سهل يمتد لمسافة 30 كم تقريبا ليصل لوادي آركس الفاصل مابين أرمينيا وايران

وعلى يسارها تمتد أرض مختلفة الإرتفاعات بمسافة حوالي 100 كم لتأتي بعدها حدود أرمينيا مع أذربيجان هذه الحدود التي مازالت إلى الآن تقع عليها المناوشات مابين الجيشان فكل أسبوع أو أسبوعان يحصل إطلاق للنار يذهب ضحيته عدد من الشهداء من هذا الطرف أو ذاك

وعلى يمينها ترتفع وتنخفض الجبال لتصل بعد 50 كم بها إلى جبال أقليم ناختشيفان المحتل من قبل الأذربيجان لتمتد من وراءه الأراضي الأرمنية المحتلة من قبل الأتراك إلى الآن

تذكرت قصص جدتها عن أجدادها الأرمن القدماء الذين دافعوا عن هذه الأرض تجاه هؤلائك الجيران

فعلى هذا السهل الممتد أمامها وقعت معركة آفارايرِ بقيادة البطل الأرمني وارطان عام 451 للميلاد

مابين الأرمن ومابين الفرس راح ضحيتها 100,000 أرمني لم يقبلوا الإستسلام لدين غير دينهم لينقلوا لأجيالهم القادمة على مر الزمان

رسالتهم الأزلية أننا مسيحيون قبل أن نكون أرمن مع أن الأرمن موجودون قبل المسيح بآلاف السنوات

نموت في أرضنا ولا نرضى الإستسلام

فالمسيحية بالنسبة لهم هي كلمة الحق الأزلية منذ بدء الكون وليس لها علاقة بفلان وعلتان

كانت معركتهم خاسرة منذ البداية فقد تحدوا جيش الفرس المؤلف من مئات الآلاف ولكنهم حاربوهم ليثبتوا أن مبدأ الحق هو أهم من كل شيء حتى أنه أهم من الحياة

وضعت أم الساك أركيلتها أمامها فهذه هي الفترة الوحيدة من النهار التي تقع مابين الخبيز في الصباح ومابين العجن في المساء والتي تستطيع فيها ألتقاط الأنفاس واليوم ترافقها الأركيلة لأن الموضوع الذي يشغل بالها يحتاج إلى نفس أركيلة على معسل التفاح

استرجعت سريعا أشهرها الثمانية التي مضت وكيف كانت تعمل من أول الفجر حتى آخر المساء في الخبز والعجن لتحضر لليوم التالي خبيزها في الصباح

كانت كل ماجنته من خلال هذا العمل هو حوالي 900 من الدولارات بالكاد أن شبعت فيها الخبز ملتوتا بقليل من الإدام

وتذكرت مبلغ 7,000 دولار خسارتها التي تعادل عمل حوالي خمس سنوات

فسحبت سحبة عميقة من نرجيلتها لأن هذا الموضوع كل ما تذكرته تضرب عندها الفيوزات من القهر والغضب ولا يصفي مزاجها سوى هذه السحبات من الأنفاس

بعد عدة سحبات وجدت نفسها كقطار يمضي إلى الأمام ويطلق دخانه في السماء

فقد اتخذت قرارها الأول وستنفذه بعد خبيزها في الصباح

وإلى اللقاء غدا لنتابع ماذا قررت أم الساك

(57)

الزمان الخميس في 5-11-2015

المكان قرية أم الساك في أرتساخ

في هذا الصباح من هذا اليوم

كان حدث غريب يجري في هذا المكان

فأم الساك لم تعد ترضى ببيع خبزها على عملة الترام (العملة الأرمنية) ولا على أي نوع عملة من العملات فقد أيقنت أن سبب البلاوي كلها هو من وراء هذه العملات التي اخترعها النصابون وصدقها الأغبياء

فقد سعرت سعر رغيف الخبز عندها بماكان قبل 10 أشهر عندما أتت إلى هذا المكان وبهذا الشيء تكون ماظلمت أحد ولا أحد أستطاع أن يظلمها

وعلقت على شباك تنورها لائحة بالأسعار

1رغيف = 1 بيضة

2 رغيف = 1 كغ بطاطا

2 رغيف = 1 كغ بصل

4 رغيف = 1 كغ قمح

4رغيف = 1 كغ عدس

4رغيف = 1 كغ حمص

.....=.....

.....=.....

.....=.....

وإلى اللقاء مع أم الساك

(58)

لمعرفة ماذا يجري الآن في قرية أم الساك الواقعة في أقليم أرتساخ لابد من لمحة تاريخية سريعة تعود بنا إلى الوراء لقرابة المائة عام

قبل عام 1914 كانت أرمينيا محتلة من قبل روسيا القيصرية في جزئها الشرقي ومحتلة من قبل الدولة العثمانية في جزئها الغربي

ومع بداية الحرب العالمية الأولى في 1914 ونهايتها في 1918

يتعرض الأرمن

في قسمها الغربي البالغ مساحته 160, 000 كيلو متر مربع إلى تهجير من مدنهم وقراهم وإجبارهم على الرحيل بشكل قوافل باتجاه البادية السورية التي تبعد عنهم حوال 1000 كم

ليتركوهم يتعرضون على الطريق لمذابح جماعية على يد كل من تسول نفسه من أتراك وأكراد وحقراء

وفي قسمها الشرقي البالغ مساحته 50,000 كيلو متر مربع وقف الأرمن مع روسيا القيصرية في حربها ضد الدولة العثمانية مصدقين وعد الروس لهم أنه في حال الأنتصار سيعيدون أرمينيا الغربية من الأتراك إليهم ويعطونهم استقلالهم عن الدولة الروسية

بعد نهاية الحرب وانتصار الروس يخون الروس كل وعودهم للأرمن ويعيدون للأتراك القسم الغربي من الأراضي الأرمنية

ويحكمون الأرمن من جديد في قسمهم الشرقي تحت مسمى جديد اسمه الأتحاد السوفييتي

والذي زاد الطين بلة أنه في أيام الأتحاد السوفييتي يؤخذ أقليم أرتساخ البالغ مساحته حوالي 10,000 كيلو متر مربع مع أقليم ناختشيفان البالغ مساحته 5,000 كيلو متر مربع من جمهورية أرمنية السوفيتية ويلحقونهم بجمهورية أذربيجان السوفيتيية ويأخذون أقليم شمالي منها ويضموه إلى جورجيا مساحته حوالي 5,000 كيلو متر مربع ويفصلونها عن البحر الأسود

عندما ضعف الأتحاد السوفييتي في نهايات القرن الماضي قام الأرمن في عام 1988 بمطالبتهم بأقليم أرتساخ بالطرق السلمية ولكن تعنت الأزريين وقيامهم بذبح العائلات الأرمنية المقيمين في داخل جمهورية أذربيجان السوفيتيية أدى إلى تفاقم الأمور وإلى اشتعال حرب استمرت من عام 1988 إلى 1994 مابين الأرمن والأذرية

أدت إلى هروب قرابة 200,000 أرمني من أذربيجان إلى أرمينيا السوفيتيية آنذاك وهروب الأذريين وعددهم 600,000 من أقليم أرتساخ إلى أذربيجان

واستشهد قرابة 20,000 أرمني مابين عسكري ومدني عدا عن الجرحى الذين أصيبوا بعاهات

واستشهد من قبل الطرف الأذربيجاني قرابة 40,000 مابين عسكري ومدني عدا عن أصحاب العاهات

هذه الحرب التي دامت ل 6 سنوات في صراع مميت على هذا الأقليم وسط الناس المدنية أدت في نهاية الأمر إلى إفراغ كل الأقليم من كل ساكنيه أذرية وأرمنية وتدمير كل ما

فيه من أبنية وبيوت سكنية (مابدكون شرح كتير عن الموضوع يا أيها السوريين فقد صار عندكم اختصاص في مثل هذه الأمور بالذات)

في عام 1994 يتم بتدخل دولي إيقاف إطلاق النار بين الطرفين دون أن يتم ترسيم للحدود الجديدة واعتراف الأذريين بها

مما أدى ذلك إلى حدود غير معترف فيها تؤدي كل أسبوع أو أسبوعين إلى خرق من جانب الجنود الأذرية تؤدي إلى استشهاد ناس من الأرمن قد يكونوا مدنية أو عسكرية وبالمقابل يرد الجنود الأرمن على إطلاق النار وممكن في بعض المرات تحمى كتير الحديدة مما يؤدي لتدخل الجانب الروسي لحل هذه الفورة وتبريد الحديدة

بعد عام 1994 يتم هدوء نسبي على كامل الأقليم عدا على أطرافه الحدودية مما يؤدي إلى إغراء بعض العيل الأرمنية الفقيرة الموجودة في دولة أرمنية التي استقلت الآن عن الأتحاد السوفييتي في عام 1992 على القدوم إلى ماتبقى من هذه القرى و سكن بيوتها التي لم تنال منها كثيرا تلك الحرب الأخيرية والعمل في أراضي تلك القرى وأخذها لهم بسياسة وضع اليد لأنه لايوجد من يطالب بها فالأذريين يخافون العودة إليها لأنها صارت بيد القوى الأرمنية والأرمن الذين كانوا بها أغراهم الرحيل إلى أميركا بعد أن سهلت لهم دولة الأميركان اللجوء إليها بحجة أنهم ضحايا للحروب المحلية

ولم يبقى منهم داخل أقليم أرتساخ إلا القلة القليلة جدا التي لا تؤخذ أبدا في حساب المجموعات البشرية

ومن جملة من بقي شاب عمره في الأربعينات الآن اسمه آرا

ماقصة هذا الرجل ولماذا تم إقحامه هنا في قصتنا

هذا ما سنراه غدا

وإلى اللقاء

(59)

كان عدد العيل الأرمنية القادمة من أرمينيا بسبب الفقر التي تقطن هذه القرية 10 عيل

وعدد العيل الأرمنية القادمة من سوريا بسبب الحرب فيها 30 عيلة

كانت معظم هذه العيل الأرمنية السورية بعد 4 سنوات من عملها في زراعة حصصها من الأراضي الأرتساخية قد أصابها الإفلاس وفقدها لكل ماكان لديها من مال وقروض ممنوحة إليها والسبب في ذلك أنه التوقعات لديهم لم تاتي كما تأملوا

فكل شيء بالأمل إلا الزراعة بالعمل

وهذا كان السبب في أن حكومة أرتساخ لم تعد تقرض أحد من العيل الأرمنية السورية في الموسم الزراعي 2015- 2016

فلم يبقى أمام هذه العيل الأرمنية السورية سوى العيش على لحق المساعدات الأرمنية من خلال الجمعيات الخيرية الأرمنية والمتبرعين الأرمن الذين كانوا يرون أنه من واجبهم دعم الأرمن في أرتساخ لأنه حرام أن تترك هذه الأرض الأرمنية فارغة من مظاهر الإنسانية

وكانت كل عيلة تخطط وتنفذ للفرار إلى بلاد اللجوء في الأوربيان

كانت أم الساك هي الوحيدة بين العيل الأرمنية السورية التي ترفض مد يدها لهذه المساعدات مهما كانت الحجة القوية لأنها كانت تعتبرها هي الخطوة الأولى بانحدارها نحو الأسفل باتجاه القاع

كان الفرمانان اللذان أصدرتهما أم الساك

الأول في 14-2-2015 بيبيعها لكيلو الخبز الطازج بمايعادل 0,75 دولار بعد أن كان سعره 1,5 دولار أي تنزيل قيمته إلى النصف

والفرمان الثاني الصادر بتاريخ 5-11-2015 بنشر لائحتها السعرية التي حددت فيها سعر كل مادة غذائية في أرتساخ بعملتها الجديدة التي هي رغيف خبزها

قد حركا الأرض التي تقبع عليها هذه القرية و شعر با هتزازها كل السكان

(60)

آرا كلمة أرمنية وتعني إله الشمس

وآرا رجلنا هذا هو الوحيد من أرمن أرتساخ الذي لم يغادر هذا المكان فقد ولد فيه وأمضى طفولته وحارب مع الجيش الأرمني في المقاومة الشعبية ضد الأذربيجان وهو في العشرينيات

رفض اللجوء إلى أميركا مع أهله وكان يقول لأهله وأخوته الذين يحاولون إقناعه بالذهاب : لماذا حاربنا ومات من الأرمن آلاف الشهداء هل لنترك ما حاربنا لأجله ونذهب ونعيش بعيدا آلاف الكيلو مترات في أرض غريبة عنا وعن مثوى الأجداد

اذهبوا أنتم ولا تحاولوا أن تقنعوني فهذا بالنسبة لي هو خيانة لدم الشهداء

بقي وحيدا في قريته ووحيدا في حياته لم يتزوج بأي إمرأة لأنه لم يحب إلى الآن

كان يلتقي كل فجر مع صاحبة التنور أم الساك وهو في طريقه مصطحبا غنمه إلى المراعي الخضراء فيتبادلان التحية والسلام ويمضي كل منهما باتجاه عمله أكثر حماسة ونشاط

في تلك السهول الشاسعة التي كانت تحيط بهذا المكان كان يترك غنمه ترعى بهناء وهو يعزف لها على دودوكه (مزمار من خشب المشمش مصمم بطريقة أرمنية ليعطي لحن خاص با الأرمن) أعزب الألحان يرافقه في مشواره صباح مساء كلبه الذي يحرس الغنمات

كانت خرافه هي كل شيء بالنسبة له وهي مصدر رزقه في هذا الزمان وهذا المكان فيعتني بها حتى تكبر ليستطيع بيعها وهي بأحسن حال

كان بيته بطرف القرية من الجهة المقابلة لبيت أم الساك وكان في أيام الصيف العليلة يسمع من مكان بيته أعزب الألحان الأرمنية المنقولة من الأجداد إلى الأحفاد

وكانت أم الساك تصغي لدودوكه الذي يصل لكل القرية مع باقي السكان

كان يعرج في طريق عودته على بيت أم ساكو ليشتري منها الخبزات وكانت أم ساكو تنتظر كل مساء

وفي هذه المرة طلبت منه أم ساكو أن يدفع ثمن الخبز وفق لائحة الأسعار الصادرة من عندها هذا الصباح

فتفاجأ بالموضوع ولم يكن يحمل سوى الترامات فدينته أم الساك خبزه الذي يحتاجه على أن يدفع لاحقا مما لديه مما تنتجه الغنمات وأطلعته على لائحة الأسعار

استغرب كثيرا من الفكرة وأعجبته وأعجب أكثر بصاحبة الفكرة أم الساك

وإلى اللقاء غدا لنعرف ماذا أحضر آرا مع الفجر ليرد دينه لأم الساك

(61)

الزمان: يوم الأحد الواقع في 8-11-2015

التوقيت : مع بزوغ الفجر في أقليم أرتساخ

المكان : أمام تنور أم الساك

وقف آرا مع غنمه وكلبه وعملته الجديدة التي أتى بها ليشتري من خبز أم الساك فقد ذهب البارحة المساء لخوري القرية واشترا بكل ماكان يملكه من ترامات حصانه الأبيض وأتى به ليقدمه ثمنا لخبزه مدى الحياة دفعه لأم الساك

ومضى بعيدا مع غنمه وكلبه في تلك السهول المترامية الأطراف

أنهت أم ساكو خبز الخبزات مع مساعدتها وقايضت أهل قريتها بما لديهم با الخبزات ودخلت إلى منزلها الذي تحول إلى بنك من المأكولات التي تحتفظ بقيمتها من خيرات الطبيعة وجهد الإنسان وعملت زوادة لها ولآرا الذي يرعى غنمه في تلك السهول والوديان

وامتطت حصانها الأبيض وأرخت له العنان فراح يسابق الريح يلحق صوت الدودوك أينما كان

كانت الأرض من تحتهما تنقل إليها رسالتها من الأجداد إلى الأحفاد أن هذه الأرض التي رويت بدماء الشهداء على مر العصور والأزمان هي الآن تسلم رسالتها الأزلية في أن كل من عليها هو فان إلا الذي يعيش الحب ويتخلى فيه عن الذات

وصل صوت دودوك آرا إلى مسمعها ونظرت بعيدا فوجدت آرا مع الغنمات

لكزت حصانها برجليها الأثنتان كما كانت تفعل وهي صغيرة في قريتها في بلاد الشام فطار بها باتجاه ذلك المكان

وصلت لعنده وكان ينتظرها منذ زمان

نزلت عن صهوة جوادها وركضت إليه دون أي استأذان ففتح زراعيه لأستقبالها فرمت بنفسها في الأحضان وضمته بكل قوتها وضمها إليه بكل حنان

بعد هذه اللحظة لم يعد اسمها أم الساك بل اسمها التي تحمله من عائلتها ألا وهو آتساخ والتي تعني با الأرمنية القديمة الكرمة

ولم يعد آرا اسمه آرا بعد الآن بل صار لهما اسم واحد ألا وهو آراتساخ

(62)

مضى على وجود زوجة ساكو وولديه في بلاد السويد قرابة 10 أشهر ومضى على وجود ساكو قرابة السنتان والشهران

كان ساكو وزوجته يداومون على مدرسة تعلم اللغة السويدية وكان الولدان يذهبان للمدرسة وكانت العائلة تقبض في الشهر حوالي 3,500 دولار أميركي من الحكومة السويدية لقاء لجوئها هناك وكانت 4/3 أجرة البيت تدفع أيضا من قبل الحكومة

كان الجميع في هذه العائلة ينعمون با الأستقرار والأمان في تلك البلاد فلاينقصهم شيء والمبلغ المقدم لهم يكفيهم بالكمال والتمام لآخر الشهر

كان بيتهم المستأجر لايبعد كثيرا عن بيت أهل الزوجة التي قدمت إلى السويد في بداية الأحداث وطلبت اللجوء منذ زمان

كان الجميع ككل العيل السورية التي قدمت إلى هذه البلاد تشعر أن هذا هو المكان الصحيح وهذا هو أفضل الخيارات

كان وجود الجالية الأرمنية في تلك البلاد يكبر شيئا فشيئا مع الأيام فا الأرمن السوريين يرغبون بالقدوم إلى السويد فالمساعدات كبيرة والعيل تجمع بعضها البعض مع مرور الأيام

كان الأرمن السوريين هناك الكل مدعي أنه لايحمل الجنسية الأرمنية ولكن في الحقيقة الكل استعمل جوازه الأرمني للهروب إلى هناك

فقانون اللجوء في العالم لايسمح للاجئ أن يكون لاجئ إذا كان له بلد ثاني يستطيع الإقامة فيه والبعد عن بلده الأول الذي فيه الحرب هناك

كانت المشكلة بالنسبة للجميع هي بعد إنقضاء السنتين الأوليتان لأنه حينها ستتوقف المساعدات وعلى العيل أن تجد مصدر رزقها مثلها مثل كل أهل البلاد

(63)

كان مايزيد خوف الأرمن السوريين عن باقي اللاجئين السوريين هو أنه بدأت الحكومة السويدية بترحيل بعض العيل الأرمنية إلى أرمينيا لأنها واجهتهم بصور فوتوكوبي عن جوازات سفرهم الأرمنية التي حصلت عن نسخ منها من خلال مراسلتها لوزارة الخارجية الأرمنية عن طريق السفارة الأرمنية في استوكهولم وشعر الكل أن الدور قادم على الجميع

فكل الأرمن السوريين الذين طلبوا اللجوء في كل أوربا هم حاصلين على الجواز الأرمني الذي هربوا من خلاله إلى دول أوروبا وطلبوا اللجوء هناك

وكان الخوف الذي بدأ يشمل كل اللاجئين السوريين هو تزايد أعداد اللاجئين السوريين بشكل كبير جدا حتى أنه أعلنت وزارة اللاجئين السويديين أنها غير قادرة على استيعاب الأعداد الكبيرة القادمة إليها و أعلنت من الآن وصاعدا أنها لن تهتم بغير العيل التي لديها أطفال أما الرجال القادمين لوحدهم فعليهم أن يناموا في الطرقات

كان هذا الإعلان أقسى على السوريين من برد السويد في تلك الفترة من العام

وممازاد الطينة بلة أحداث باريس التي وضعت كل السوريين والأروبيون هذه المرة في سلة واحدة هي سلة الخوف الشديد

فالأربيون بدأوا بالخوف من كل شيء اسمه سوريين

والسوريين بدأوا بالخوف من كل شي اسمه أوربيين

ولم يعد السوريون يعرفون ماذا يفعلون بعد كل هذه المعاناة للوصول إلى هناك ؟

.....

(64)

كان الفرمان الثالث الذي أصدرته تساخ (أم الساك) هذه المرة هو الذي قطع الشك باليقين فهذا الفرمان الجديد ذو الرقم 3

بعد الفرمان رقم 1 بتنزيل سعر كيلو الخبز من 1,5 دولار إلى 0,75 دولار

والفرمان رقم 2 بعدم التعامل بأي نوع عملة غير رغيف خبزها

قد وضع ليس النقاط على الحروف بل وضع أبجدية جديدة لوقف كل أعمال السرقة التي كانت تجري من قريب أو بعيد

فبعد خسارتها لمايعادل 7,000 دولار أميركاني والذي يعادل عندها عمل تقريبا خمس سنوات بعمل يومي لاراحة فيه من قبل الفجر حتى المساء

كان لابد من هذا الفرمان لإنهاء هذه السرقة في العام الجديد

فماهو هذا الفرمان رقم 3 هذا ماسنراه في الأيام المقبلة يا متابعين البوستات ....

(65)

كان الفرمان رقم 3 الصادر من أم الساك القاضي بأنها لن تحرث أرضها وأرض أبو الساك هذه السنة وكل السنوات القادمة بالتراكتور بل بالمحراث الروماني القديم وكذلك الحصاد بالمنجل اليدوي

هو من وضع نهاية لكل مايصيبها من أعمال الأبتزاز

فقد كان حصانها الأبيض المدفوع سلفا من راعي الغنمات آرا عن خبزه لمدى الحياة لهو خير من سيقوم بهذا العمل الجبار

ولكن بقي السؤال بدون جواب من الذي سيقوم بهذا العمل من خلف الحصان؟

كان عمل أم الساك في تنورها العجيب ينقسم إلى مرحلتين

المرحلة الأولى تبدأ مساء كل يوم بعجن العجين وتركه ليختمر حتى الفجر هذه المرحلة بحاجة فيها أم الساك لمعاونة

لتساعدها في عملية عجن 25 كغ من الطحين

وكانت امرأة من نساء القرية تأتي إليها للقيام بهذا العمل مقابل 112,5 دولار في الشهر

والمرحلة الثانية تبدأ مع فجر كل يوم بإحماء التنور والتقريص والرق ولصق العجين بالتنور حتى يحمر وجهه ويصبح رغيف

وكان يساعدها في هذه الفترة الصباحية نفس الإمرأة تأتيها بعد إحمائها للتنور أي تقريبا مع بزوغ الشمس

فأم الساك ليس لديها الوقت ولا القوة ولا الخبرة في حرث الأرض على هذه الطريقة التي أنقرضت منذ زمن بعيد فمن سيقوم بهذا العمل ؟

لم يكن يدور في مخيلتها سوى شخص واحد ومن غيره ياحلوين إنه آرا صاحب الحصان الأبيض فمن عمل معروفا عليه أن يكمله ولو بعد حين

وإلى اللقاء ياحلوين.....

(66)

كانت عملية حراثة 20 هكتار تتطلب بهذه الطريقة 20 يوم عمل والأرض بحاجة لحراثة وجهان أي إلى 40 يوم عمل

واليوم هو 22-11-2015 أي ستحتاج العملية حتى رأس السنة وفي الأيام الماطرة يتوقف العمل وبالتالي ستمتد الفترة لمابعد رأس السنة ربما لشهر أو شهران

ولكن هذا ليس مهما فالوقت معها حتى آخر شباط من عام 2016

كان آرا يمر عليها مع كل فجر يساعدها في إحماء التنور وهو ذاهب إلى رعي الغنمات

ويجلب لها مع كل مساء مايجمعه من تلك السهول من فروع الأشجار التي يلقيها يابسة من تجواله طول النهار

في ذلك المساء من 22-11-2015 طلبت أم الساك من آرا أن يأتي ويسهر عندها بعد إنتهائها من عجين الطحينات

كان صوت دودوك آرا في ذلك المساء لا يسمعه فقط من في مداه بل تعدى ذلك الصوت إلى كل أرتساخ وكل أرمينيا وكل بلاد الله وشعر به كل حبيب ومحبوب على وجه هذه الحياة

فلأول مرة آرا في حياته يشعر بشيء غريب في داخله قد حرك فيه كل الكيان وشعر شعور لايوصف الآن لم يشعره من قبل أبدا في يوم من الأيام

هذا الشعور يقول له أن كل مافي هذه الحياة لايساوي شيئا ولا معنى له إذا لم تكن معه تساخ

فقد كانت روحه هي التي تعزف الآن على دودوكه ويصدر عنهما أعزب الألحان

وإلى اللقاء بعد المساء عند تساخ....

(67)

في تلك الليلة من شهر تشرين الثاني لعام ٢٠١٥ كان البرد قد حل على المكان فبهذا الوقت من السنة وخاصة بعد مغيب الشمس تصبح الدنيا باردة في أقليم أراتساخ

جلست تساخ وبجانبها أركيلتها على معسل التفاح وجلس مقابلها آرا على مسافة أربعة أمتار وتوسطت المدفأة بينهما تبث دفئها في كليهما

كان آرا صامتا يتأمل في محبوبته التي بدت له بأحلى حال لم يراها من قبل بهذا الجمال فقد أرخت شعرها على الأكتاف وتمازج لونه الأسود مع ماكانت ترتديه من أحمر الألوان

كانت بالنسبة له تعني كل الجمال والأنوثة والحب والحنان الذي افتقده كل حياته وقد وجده الآن

كان آرا بالنسبة لأم الساك النسخة المعدلة رقم أربعة لما مر في حياتها من رجال فالنسخة الأصلية كان والدها التي كانت بالنسبة له هي من أخذت مكان الصبي الذي كان ينتظره من زمان والنسخة الثانية المعدلة عن والدها كان زوجها أبو الساك التي رأت فيه الخلاص ولكنها هي التي خلص منها شبابها مابين تأمين حاجاته في النهار وفي المساء وكان ساكو ابنها الوحيد التي علقت عليه الآمال النسخة الثالثة التي لم تكن معدلة عن أبيه الذي لم يعلمه فقط ميكانيك السيارات بل علمه أيضا من الصباح إلى المساء ماكان يعلمه عن الحياة

سحبت نفسا عميقا من دخان أركيلتها على معسل التفاح وبثت دخانها في كل أرجاء المكان فوصلت رائحة المعسل على تفاح إلى آرا واستنشق منه حتى عبأ رأتاه فقد استساغ هذه الرائحة التي كان أول مرة يعرفها طيلة هذه السنوات

إنها نفس القصة التي حدثت منذ أول لقاء مابين آدم وحواء ومابينهما التفاح

فهل سيعاد نفس السيناريو بينهما أم هناك شيء جديد ياشباب

كانت الطاولة القصيرة التي تتوسط بينهما موضوع عليها ما أحضره آرا كهدية لمحبوبته تساخ من زجاجة نبيذ من عنب آراتساخ الذي قام بصنعه هو بالذات ومن الجبن المنتج من غنمه هناك

ووضعت أم الساك بجانب هداياه أرغفة من خبزها الذي أعدته في ذلك النهار مع ماكانت الطبيعة تمنحه في ذلك الآوان من خيرات كالرمان والجوز والعنب والزبيب والتين اليابس ولم تنسى أهم منتج في آراتساخ وهو العسل المصنوع من رحيق أزهار ذلك المكان

كانت ألسنة اللهب في الموقد بينهما تتراقص على دقات قلبيهما هذان القلبان اللذان بدأا بنبضان مع بعضهما في تناغم وكأنهما قلب واحد لشخصان

رفع آرا كأس نبيذه الأحمر باتجاه محبوبته مادأ يده إلى الأمام منتظرا أن تبادره بالمثل فأخذت أم الساك كأسها ورفعته باتجاهه و تلاقت نظراتهما من خلال الكأسان

فوجد فيها كل ماكان يتمناه

ووجدت فيه سؤال خطر لها على بالها في تلك اللحظات هل هو يختلف عن الباقي من الرجال ؟

أم أنه مثله مثل الباقي ولكن لكل واحد منهم أسلوبه في إخضاع النساء؟

هذا السؤال جوابه لأم الساك هل سيأتي في الحلقات القادمة أم سيبقى السؤال بدون جواب ؟

قال لها بلغة ذلك المكان كيناتت (بصحتك) فردت عليه بنفس الكلمة وشرب الأثنان كلا منهما نخب أول نبيذ لهما لهذه السنة في آراتساخ

نظرت إليه بابتسام وسحبت سحبة عميقة من مبسم أركيلتها على تفاح ونفثت بدخانها في إتجاهه وغاب للحظة منها عن الأنظار ثم ظهر لها مغطى بالدخان وكانت تقول في داخلها وهي تهز رأسها باتجاه الخلف والأمام قديش بدي طول بالي عليك يا آرا ياأبو الخرفان حتى تظهر مثل الباقي من الرجال يلي عاملي حالك ملاك

كانت هديته المقدمة لها من حصان واهتمامه بها مع بزوغ كل فجر ومع مغيب شمس كل نهار سؤال حيرها منذ زمان وهاهي الليلة قد دعته لتكتشف منه الجواب

فهي تعرف الجواب مسبقا فلا يوجد في قاموس الرجال عندها رجلا يقدم للمرأة شيئا دون أن يكون قد خطط ليأخذ مقابله بالأضعاف وماذا سيأخذ الرجل من المرأة غير جسدها وصحتها وشبابها ثم يتركها كحطام

تذكرت في لحظات سريعة تاريخها مع الرجال من أبوها لزوجها لأبنها ونظرت في هذا الرجل الجالس أمامها فلم تجد فيه شيئا مختلفا عن باقي الأخوان فكلهم يأتون بثياب الحملان ثم يخلعون ماعليهم ويكشرون عن الأنياب وهو راعي يعرف تماما كيف يكون الحملان ومتى تكون الذئاب

كانت تنظر إليه بأستغراب فالبنات في القرية أصغر منها بكثير من الأعوام وجمال شبابهم مازال غضا طريا ينافسونها في كل شيء حتى الجمال

فلماذا هو مهتم بها ولايبالي بكل تلك النساء ولا بكل ماكان يتداوله أهل القرية عن ما ممكن أو ممكن أن يحدث بينهما؟

ماسر هذا الشخص الذي ظهر لها هنا الآن وبدأ يخربط لها الدوزان ؟

هي التي لايصدر منها إلا الفرمانات فهل في هذه الليلة سيفعلها آرا و يصدر هو الفرمان وماهو هذا الفرمان ؟

هذا ماسنعرفه وعد مني لكم في هذه الليلة بالذات

ساد الصمت المكان وساد معه كل ماحولهما

قام آرا من مكانه ووقف على رجليه الأثنتان ونظر إليها بكل حنان قالت في نفسها (لم يطل الوقت معه فأوراقه المخبئة قد ظهرت الآن هاهو قد ترك كرسيه و سيأتي نحوي وينهي موضوعه في لحظات ويتركني وحيدة مثل كل مساء) سار باتجاه الموقد وأخذ بعض القرم ورماها فيه وعاد إلى كرسيه ينظر إلى اللهب وقد تصاعد من جديد في كليهما

عادت أم الساك إلى أركيلتها فالنفس رح يخلص ولم تصل بعد لأي جواب وهزت برأسها إلى الخلف والأمام وقالت في نفسها (هادا وحدة من تنين يا أما مانو رجال أو طبخاتو بيطبخا على نار هادية حتى تستوي على التمام وتكون طعمتا ألذ وأطيب بعد طول إنتظار)

تأملت في جسده لتكتشف أي من الأحتمالين يرجح لديها فرجحت الأحتمال الثاني

فلم يكن ينقصه أي مظهر من مظاهر الرجال فجسمه مملوء بالصحة والنشاط

وذقنه كثيفة مكتظة بالسواد

وملامح نظراته كلها تدل على الذكاء

ولون بشرته قد سمرتها شمس آراتساخ فأعطتها لونا برونزيا لكل ماكان يظهر منها من تحت الثياب

فلم يوجد غير الإحتمال الثاني أنه يطبخ أكلته الآن على نار هادية ياشباب

كان صامتا طول الوقت ينظر إليها وكأنه غير مصدق عيناه

أنه هو معها الآن

كان في قرارة نفسه في أسعد لحظات عمره التي انقضت والحاضرة والقادمة

كان شعوره بالإكتفاء في هذه الحياة قد حصل الآن فهو كل ماكان يهمه أن يبقى معها في هذه الليلة إلى الأبد

وأن لا تتركه بعيدا عنها فهي بالنسبة له أصبحت كل الحياة

ومابين آرا وتساخ تجاوز الوقت نصف الليل في آراتساخ

جددت أم الساك راس أركيلتها على تفاح وجددت معه الفحمات وتنهدت عميقا فصاحبنا قد أنهى زجاجة نبيذه التي أحضرها معه حتى الآن وبدأ بقطرميز العسل الذي قدمته كضيافة له يصنع منه مع خبزها وجبنته صندويشات له ولها فقد جاع الإثنان

استرخت في مقعدها فالموضوع يبدو طويلا ولا حاجة للتشنج بل للإسترخاء ولم يعد يهمها جواب سؤالها فالوقت أمامها طويلا للجواب على ذلك السؤال

وسحبت نفسا عميقا من أركيلتها عكر صوت قرقعة الماء فيها سكون وصمت ذلك المكان

وشردت بعيدا وطرحت على نفسها سؤالا جديدا لم يخطر في بالها يوما من الأيام هذا السؤال يقول لها (لماذا لاتتمتعي بلحظاتك لماذا عليك أنت أن تكوني دائما مسؤولة عن لحظاتك ومن أعطاكِ هذا الحق لتكوني مسؤولة عن لحظاتك إن لحظاتك هي ليست ملكك هي ملك الطبيعة التي منحتكِ إياها وهي ستستردها منك في أي وقت تشاء)

انتفضت أم الساك من مكانها فقد فاجأها الجواب الذي سمعته من نفسها وشعرت أن حياتها كلها كانت هباء بهباء فهي لم تشعر بحياتها كلها أنها استسلمت لتلك اللحظة التي هي ليست ملكها بالأساس بل هي التي كانت تمسك كل لحظة في حياتها كما يمسك ربان السفينة دفة سفينته عند الإبحار

وحاجتكون لهون ياشباب.....

(68)

بدأت ديوك القرية بالصياح معلنة اقتراب الفجر وبدأ معها كلب آرا بالنباح فقد استيقظ غنمه من نومه وعليه التوجه للأكل في السهول والجبال

قام آرا من على كرسيه يريد الوداع

وقامت تساخ من سكونها فقد انتبهت أن الوقت كان قد مر عليها وهي في صراع مع ذاتها مابين الماضي والحاضر الذي قررت أنها لن تخسره بعد الآن

فأصدرت بينها وبين نفسها فرمانها الرابع أن هذا الرجل الذي أمامها ليس كباقي الرجال

وعليها أن لاتتركه يفلت من يديها فاللحظة علمتها الآن أن عليها أن تعيشها لا أن تمسكها فهي ليست ملكها بالأساس

اعترضت طريقه خلف باب الدار ومنعته بجسدها من فتح الباب تلاقت عيونهما مع بعض وخرج منهما كل ماكان مخبأ ومكبوت من عشرات السنوات

في هذه اللحظة بالذات شعرت تساخ أن كل لحظات حياتها لم تعد تملكها بعد الآن

فاستسلمت بكل جسدها لهذه اللحظة

ضما جسديهما إلى بعض بقوة حتى أصبحا معا جسد واحد لا أحد يستطيع أن يفرق بينهما

وذابا في كيان واحد وذاب معهما زمانهما وأصبحت كل لحظات حياتهما الماضية والحاضرة والمستقبلية تختصر بهذه اللحظة بالذات

كان دفء جسدهما وحرارة لقائهما أقوى من برد ذلك المكان رغم أنهما أصبحا من دون ثياب ولكن كان العرق يتصبب من كليهما

كان شعورهما في تلك اللحظة أقوى من أي شيء يمكن أن يبعدهما عن بعضهما

.....

إنشاء الله يكون فش خلقكون بعد الآن بأبو الساك ياشباب

وإلى اللقاء في القادم من الأيام

(69)

وفي قمة هذه اللحظة بالذات ولد شيء جديد بينهما سيخلد هذه اللحظة على طول الأيام

أي نعم سيدي حبلت.....

(70)

كانت الشمس قد توسطت كبد السماء في يوم الخميس من 26-11-2015

وتوسط على الأرض تحتها آرا وتساخ

وتوسطت بينهما زوادتهما التي أعدتها تساخ بعد إنتهائها من خبز خبيزها ومقايضته للناس

لقد مضى يومان على مباشرة آرا في حراثة قطعة الأرض التي تخص محبوبته تساخ

وهاهما الآن في فترة استراحة الغداء يتناولان مع بعضهما وجبتهما لذلك اليوم من شهر تشرين الثاني ألفان وخمصطاش

أتكأ آرا على جذع الشجرة التي كانت تظللهما من بعد الغداء

وأتكئت تساخ برأسها على فخده اليسار وتمددت بجسمها على البساط الذي كان من تحتهما

نظرت إلى وجهه فوجدته قد أمسك بالمزمار (دودوك) وراح يعزف عليه أروع الألحان

وراحت غنماته من حولهما تأكل من خضرة وخيرات طبيعة ذلك المكان

وراح حصانهما الأبيض ينظر إليهما وقد أنهكه تعب هذا العمل الجديد عليه الذي لم يرق له على الإطلاق

وإلى اللقاء ياأصدقاء.....

(71)

كان وجود آرا في حياة تساخ قد جعل لحظاتها الممنوحة لها من الطبيعة مملوكة إليه فقد وجدت فيه كل ما كانت تتمناه وماكانت تنتظره في هذه الحياة فوجوده معها كان يشعرها بالإكتفاء وتشعر أنها خارج الزمان والمكان

لم تشعر بهذا الشعور من قبل في حياتها وكانت كل شيء تعمله تراه في قمة الصواب والفرح والعطاء بعكس تماما ما كان يراه سكان قريتها الأرمن السوريين في أن ماتعمله هو شكل من أشكال الفجور وعدم الحياء وقلةالاحترام لها ولزوجها الغائب عن الأبصار

وكان أرمن أرمينيا يرون فيه حريتها الشخصية التي لايحق لأحد التدخل فيها وكانوا لايبالون بكل الموضوع على الإطلاق

شو رأيكم أنتم يا أصدقاء.....

(72)

دخل آرا وتساخ من مساء ذلك اليوم على خوري القرية في زيارة له ليساعدهم في حل مشكلتهما بالزواج فقد قررا الإثنان أن يعيشا مع بعضهما

كان جوابه لهما أنه لايعرف ماذا سيتصرف تجاه حالتهما ولكنه سيرد عليهما بالجواب في أقرب زمان

انتقلت تساخ للعيش في بيت آرا

وأبقت على بيتها القديم كمستودع ومكان لعملها في صناعة الخبز للناس

كانت تسعى بأسرع وقت لديها لإنهاء كل علاقة كانت مع أبو الساك

فقد اتخذت قرارها الرابع بأنها بعد تلك الليلة لن تعيش بعد اليوم بانتظار أي كان

وإلى اللقاء ياأصدقاء.....

(73)

كان القرار التي اتخذته وزارة الهجرة لحكومة بلادالسويديات بشأن أبو الساك هو بالرفض لأنها حصلت على نسخة من جواز سفره الأرمني من خلال مراسلتها لوزارة الخارجية الأرمنية وقد واجهته به فلم يستطع الإنكار

كان هذا بالنسبة له مثل الطلقة في الراس فقد انهارت كل أحلامه ومابناه في مخيلته من خيالات ولم يعد أمامه سوى طريق واحد للبقاء في بلاد السويديات يسلكه ألا وهو الزواج من صاحبة الدكان

فقد أمربمغادرة البلاد خلال ٤٨ ساعة أو سيرحل غصبا عنه إذا خالف التعليمات

سار من المخيم مغادرا إياه دون الإلتفات وراه وراح باتجاه معلتمه ليعرض عليها وضعه إذا كانت تقبل به زوجا لها لتبقيه بجانبها حتى لايغادر البلاد

فهل ستوافق على ماسيطرحه عليها ؟

هذا ماستجاوب عليه الحلقة القادمة من التغريبة السورية الأرمنية ياأصدقاء.....

(74)

كان برد شمال السويد في مثل هذا الوقت من كل عام شديدا وزاد في برودته ما وصله من قرار بالرفض له بقبوله في بلاد السويديات الذين يبعثون بالدفء فيه لمجرد السماع بأسمائهن

وصل إلى شجرة أم الساك التي كانت من جهته على اليسار نظر إليها فوجدها مغطاة بثوب ناصع البياض مكسوة بالثلج من أعلى مافيها إلى أسفل الساق

تذكر أم الساك في ثوب زفافها الأبيض وهي تمنحه نفسها على مذبح الرب بكل إخلاص

اقترب من شجرته وضمها إلى صدره ولف حولها الذراعان وبكى على ساقها طالبا منها الغفران فهو لم يعد يستطيع العودة إليها ويطلب السماح فذنبه الذي اقترفه بحقها أكبر من قدرة أم الساك على المسامحة له وأكبر من قدرته على طلب السماح امتزجت دموعه الساخنة مع الثلج البارد الذي صحاه مماهو به من تنهدات

سار باتجاه الدكان يحث الخطى فعليه أن يدرك معلمته فقد أخبرها أن غيابه لن يطول إلا لساعة أو ساعتان

علق جاكيته الشتوي في مكان نومه المعتاد داخل مستودع الدكان واتجه إلى مجلاه فقد تراكمت الأواني عليه وعليه أن يجليها في الحال

اقتربت منه معلمته ووقفت بجانبه حتى لاتعطله عن جليه وسألته عما جرى معه هناك فجاوبها وهو مستمر بعمله أنه عليه أن يغادر البلاد خلال ٤٨ ساعة وقد بدأ عليه العداد منذ ساعتان

هزت برأسها وابتسمت وسألته وماذا أنت فاعل الآن؟

لم يعرف ماذا يقول لها سوى هذه الجملة التي قالها الآن: إذا كنت لاترغبي ببقائي هنا فسأرحل في الحال؟

ضحكت هذه المرة بصوت عالي وقالت له: ولماذا علي أن أرغب ببقائك معي؟ أجبني أنت لماذا أنا سأرغب ببقائك معي هل أنا التي محتاجة للإقامة في هذه البلاد؟

لم يعرف ماذا يقول لها فنظر إليها متوسلا إليها أن لاترفضه وامتلأت عيناه بالدموع وجرت على الخدان ولم يفتح فاه

طلبت منه أن ينهي مابدأه ويأتي إليها في مكانها المعهود وسط الدكان

نشف يديه وسار باتجاهها بعد أن خلع عنه مريوله للجلي ووقف أمامها بكل احترام طلبت منه الجلوس فتوسطت مدفأة الحطب بينهما

ووجهت حديثها إليه قائلة: لماذا رفضوا لجؤك ؟

فرد عليها: لقد واجهوني بجوازي الأرمني الذي أنكرته عليهم من أول لقاء

فقالت له: ماذا ستفعل الآن؟

قال لها: إذا ليس لدي عمل عندك سأغادر البلاد؟

قالت له: أنت تعرف أنه أنت لاتستطيع العمل عندي بدون الزواج

قال لها: أعرف

قالت له : يعني أنت تطلب الزواج مني حتى تستطيع البقاء في البلاد

هز برأسه دلالة على موافقتها الرأي بالسؤال

قالت له: ولماذا أنا علي الزواج بك ؟

قال لها: أنا مستعد أن أعمل لديك دون أجار وأخدمك ليل نهار

قالت له : لماذا كل هذا حتى تبقى في هذه البلاد؟

لم يعرف ماذا يقول لها فهي بالنسبة له كانت الطعام والنوم والجنس والجنسية أخيرافي قادم الأيام

هزت رأسها مشفقة عليه فقد كان بنظرها كذاب وقالت له تستطيع أن تبقى هنا إذا رغبت ولكن أمح من رأسك فكرة الزواج واستمر كماكنت عليه فالشرطة لا تأتي إلى هنا على كل حال وإذا سألوني عنك سأقول لهم أنني لا أعرف أنك مرفوض وعليك مغادرة البلاد وسأقول لهم أنه يتردد علي ببعض الأعمال وهو مسجل نفسه في مخيم اللجوء بالجوار

فماذا كان قرار أبو الساك هل سيغادر السويد أم يقبل بفكرتها التي لم تخطر على باله في يوم من الأيام.....

وإلى اللقاء في قادم الأيام بأذن الله.....

(75)

استقبلته في سريرها في ليلة ذاك النهار قبل أن يأخذ القرار وكانت ليلة مختلفة عن باقي الليال فقد كانت حماسته في إثبات وجوده لها تزيد من قوته ليقنعها بحاجتها لوجوده معها وكانت حماستها تجاهه في الإغراء مختلفة عن باقي الليال لتقنعه بعدم الرحيل والبقاء

كان منهك التعب في آخر المطاف فقد كان همه طول الوقت أن يثبت لها أنه لابديل عنه بين الرجال فهل أثبت لها ذلك فهو عامل في النهار ببلاش وفي الليل يقضي شهوتها كلما كانت بحاجة لقضائها في أزمة النقص في الرجال بالنسبة لعمرها في بلاد السويديات

كان قراره بالبقاء قد اتخذه منذ سماحها له بالبقاء على أمل أن تغير رأيها وتتزوج منه ليكون وجوده مشرعا هناك فيعود إليه حلمه الذي بناه هنا على أرض السويديات

فكان في النهار عاملا جيدا مطيعا وفي الليل رجلا جنسيا بامتياز لعلها توافق على الزواج منه ويحصل على جنسية هذا المكان

وكانت سعيدة به فقد كسر هاجس وحدتها ولم يكلفها شيء على الإطلاق سوى أكله الذي لم تجد فيه مشكلة لأن المردود كان أكبر بكثير من ثمن الطعام

وإلى اللقاء.....

كان السؤال الذي لم تجد أم الساك الجواب عليه لحد الآن هو لماذا أنا بالذات اختارني آرا من بين كل تلك النساء ؟

ولماذا بقي بدون زواج إلى الآن؟

لم تكن تعرف الجواب ولكن عند النساء لاشيء يبقى مخفيا فمابالك عند أم الساك

سألت في هذا الصباح المرأة التي تساعدها على التنور هذا السؤال

هل كان آرا على علاقة بأمرأة في يوم من الأيام؟

ابتسمت رفيقتها عالى التنور وقالت لها: لماذا تهتمي بهذا السؤال المهم أنك الآن الوحيدة بالنسبة له وعقله بك طار

ابتسمت تساخ وقالت لها : يعني كان في حدا من النساء ؟

ردت عليها: آرا منذ أن أتينا من أرمينيا إلى هنا منذ ٢٣ عام لم يهتم بأي إمرأة فينا ولم تلفت نظره ولا واحدة من كل النساء لا في هذه القرية ولا في كل الجوار

استغربت أم الساك من هذا الكلام وازداد لديها السؤال لماذا هي من أحبها هذا الراعي الفهمان؟

عند المساء أعادت أم الساك طرح أسئلتهاعلى مساعدينا من النساء فتلقت نفس الجواب ولكنها أضافة لهم سؤالا جديدا لهم قائلة: لماذا لم يهتم برأيكم بأي من النساء؟

التفاتا إلى بعضهما ونظرت كل واحدة بالأخرى لاتعرف ماذا تقول للأخرى وهزا رأسيهما وقالت واحدة منهما وهي تضحك : يبدو أنه ليس برجال

كان هذا الجواب غير مقنع بتاتا لأم الساك فهي الوحيدة في كل القرية التي تعرف جواب هذا السؤال

انتظرت حتى التقت بآرا بعد عودته من الفلاحة ومن بعد العشاء سألته : آرا سأسئلك سؤال واحد فقط لأنه ليس لأحد غيرك عنده الجواب لماذا أنا بعد كل هذا الإنقطاع عن النساء؟

ونظرت إلى عينيه تنتظر الجواب

قال لها: أنت تعرفي أنني لا أكذب ولكن أعذريني من الجواب وبماذا يهمك الجواب طالما أنا وأنت مع بعضنا على كل الأحوال

وأخذ مزماره وبدأ يعزف عليه وبقيت أم الساك بدون جواب

أصغت أم الساك إلى صوت مزماره علها تجد فيه الجواب فلم تجد إلا لحنا لم تعرف هل هو لحنا حزينا أم لحنا مفرحا فتارة تشعره لحنا حزينا وتارة تشعره لحنا فرحا وضاع عليها الموضوع ونامت بانتظار الصباح

في اليوم التالي أعادت سؤالها لمساعدتها على التنور قائلة لها: لماذا آرا بعد كل هذا العمر اهتم بي ولم يهتم بغيري من النساء مع أنه يستطيع أن يختار غيري أكثر جمالا وأصغر عمرا؟

تفاجئت مساعدتها بسؤالها المباشر وارتبكت وكأنها تخفي شيئا وحاولت التهرب من السؤال بأنشغالها في إخراج الخبز من التنور قبل أن يصيبه الأحتراق

وزاد هذا التصرف الطين بلة لدى أم الساك فقالت لها قولي لي ماتعرفيه عن الموضوع وإلا أتركي مابيديك ولاتعودي إلى هنا بعد الآن

تلعثمت في الكلام لاتعرف ماذا تفعل فأن قالت مالديها لربما ستنصدم أم الساك بحبها وأن لم تقل فليس لها مصدر آخر لإطعام عائلتها من الخبز الذي تأخذه معها نهاية كل دوام

صمتت طويلا وهي مشغولة بخبيزها ولكن أم الساك كانت قد توقفت عن عملها فلم يعد أمامها أرغفة للصقها بدورها في جدار التنور فتوقفت هي الأخرى عن عملها والتفتت فرأت أم الساك مازالت بأنتظار الجواب

قالت لها: قصة آرا معروفة في الجوار ولكن الكل قد نسيها الآن وبعد صمت قصير تابعت قائلة وهي تبلع ريقها من النشفان فآرا لم يغادر هذا المكان لأنه ماتت فيه حبيبته هكذا يقال وصمتت وبقيت أم الساك بانتظار كلامها لاتعود إلى عملها في رق أرغفة العجين لتقدمه لها لتقوم بدورها بالعمل هناك فتابعت مساعدتها قائلة : ويقال أن آرا أصابه الجنون فلم يعد يغادر ليس فقط القرية بل المكان الذي قبرت فيه وظل

ملاصقا لقبرها ليل نهار وكانت عائلته تأتي بالأكل له حتى لايموت من الجوع وتسهر معه وتشعل له النار في الأيام الباردة وبقي على هذه الحال حتى رحلوا جميعا بعد أن يأسوا من حالته وعندما أتينا نحن إلى هذه القرية كان مايزال قبرها هناك في مقبرة القرية وكان آرا نحيلا جدا تشفق عليه الناس وترسل له مايتبقى لديها من قليل الطعام أو الثياب

وكان خوري القرية يحبه جدا لأنه هو الوحيد الآخر الذي لم يغادر المكان وكان صديقا له منذ زمان فاقترح عليه اقتراحا أقنعه لآرا فيه ونفذه آرا في الحال بمساعدة هذا الخوري الفهمان

فماهو هذا الأقتراح هذا ماسنتابعه معا يا يلي بقيانين متابعين إلى الآن

78

لم يكن هناك شيء تضيفه مساعدتها من كلام فقد قالت كل ماكانت تعرفه عن رواية آرا كماتناقلها الناس في وقتها وكا عرفت به آرا من أول لقاء قبل حوالي أكثر من عشرين عام

وكانت الناس قد بدأت بالتوافد لأخذ خبزها ككل صباح فقد شقت الشمس بأشعتها ذلك الصباح

رمت أم الساك بمريولها جانبا وغادرت المكان واتجهت مسرعة باتجاه منزل خوري القرية حيث يقيم بجانب كنيسته هناك

وصلت إلى المكان فوجدت الخوري يقيم قداسه ككل صباح وأمامه في الكنيسة ختيارة وختياران

كانت الكنيسة صغيرة جدا وتبدو أنها بنيت من آلاف السنوات فهي معتمة وذات شبابيك صغار بالكاد أن يدخلها ضوء شمس ذلك النهار

وقفت عند الباب تنتظر أن ينهي قداسه ولكن قداديس الأرمن لاتنتهي بسهولة ياشباب

عادت مسرعة إلى تنورها فقد تذكرت أنه صعب على مساعدتها أن تكون لوحدها وكذلك صعب على الناس الإنتظار

وصلت كان الإزدحام قد بدا حول المكان فعاودت عملها لتلبية حاجة الناس وأنهته بكل نشاط

وعادت مسرعة إلى خوري القرية لتعرف بقية القصة منه

وماذا قال لآرا حتى أقنعه بالأبتعاد عن قبر حبيبته ويصبح راعي للقرية ويخرجه من تلك الحال؟

يتبع.....

استقبلها خوري القرية بالترحاب وقال لها : معك حق أن تاتي لأخذ الجواب

رجعت أم الساك إلى الوراء وكادت أن تقع من طولها فكيف عرف أنها قادمة لأخذ الجواب ولكنه مالبث أن قال لها : أن سؤالهما له هي وآرا قبل يومان يحتاج لوقت أكثر وطلب منها طولة البال

صحيت أم الساك مما كانت فيه وقالت له: أنا لم آتي الآن إليك لمعرفة جواب هذا السؤال فهناك سؤال آخر يجب معرفته قبل سؤالنا لك عن الزواج

بدأت على محياه علامات الإرتباك وأحس بنفسه مذنب في قفص الأتهام فقد كانت أم الساك تنظر إليه وعيونها تقدح شرار كما يقول المثل العامي في بلاد الشام

دعاها إلى الجلوس بجانب مدفأة الحطب وطلب منها أن تهدي البال وأغلق باب الغرفة التي هم فيها بالمفتاح بعد أن طلب ممن في البيت عدم الإزعاج

وأخذ كرسي واقترب منها لايريد لأحد أن يسمع كلامه غيرها هي مهما كانت الأسباب

قصت له أم الساك ماسمعته من مساعدتها على التنور في هذا الصباح وطلبت منه معرفة بقيت الرواية حتى هي ترتاح

نظر في عينيها وأضاف قائلا : سأقول لك شيئا الآن لا أحد يعرفه في كل الكون سوى أنا وآرا ورب العباد فإذا كنت ستقوليه لأحد ما حتى لو كان لآرا فلن أقوله لك الآن لأن الموضوع خطر على آرا وأنا لايهمني سوى آرا بالذات

وقام من مكانه وأحضر الكتاب المقدس الذي كان على الطاولة أمامه وطلب منها أن تضع يدها اليسرى عليه وأن ترفع يدها اليمنى إلى أعلى وتردد وراه إذا كانت موافقة على شرطه هذا بعدم فتح الموضوع لأي كان

عملت مثل مايريد فقد كان هاجسها أن تعرف الجواب

قال لها : بعد أن يأسنا جميعا من الجنون الذي أصاب آرا بعد أن كان شابا قويا يحسب حسابه في كل المعارك التي خضناها هنا على هذه البلاد فقد كان أشجعنا وهو لايقبل أن يسبقه أحد في مقارعة الأعداء وقد كنا صغارا لانخاف شيئا ولا الموت فقد كان هاجسنا تحرير البلاد

وكان كل مازاد قتلنا للناس نزداد همجية ووحشية ليس في قتل المتحاربين ضدنا بل بكل ماكان يأتي أمامنا من أطفال وشيوخ ونساء

كان إلاه الشر يتحكم فينا كما هو يشاء

وفي أحد الأيام قتلوا الأذريين محبوبته لآرا لأنهم لم يستطيعوا الوصول إليه لأنه كان دائما في الجبال وقيل أنهم اغتصبوها بعد قتلها لأنهم لم يستطيعوا إغتصابها وهي على قيد الحياة وقد كانت تصرخ كل الوقت آرا آرا حتى الممات

من بعد هذه الحادثة آرا أصابه شيء مثل الجنان لم يعد يكترث لشيء في هذه الحياة ولم يعد قادرا على مغادرة قبرها و كان دائما يردد اسمها باستمرار آني آني مع كل شهيق وزفير له و يحفر القبر يريد أن ينام فيه مع العظام

بقي على هذه الحال قرابة السنتان وبدا وكأن كل شيء سينتهي على هذه الحال

ومن كثرة حبي له ومن خوفي عليه أن يبقى على هذه الحال طلبت من المسيح في أحد الليال عندما كنت بجانب آرا وهو يحاول الزواج من تلك العظام أن يخلصه من هذه الحال

فألهمني على فكرة بسيطة أقنعت آرا واستطاع بقليل من المساعدة أن يخرج آرا رويدا رويدا من تلك الحال

والفكرة باختصار أنني قلت لآرا لماذا لاننقل قبرها ونضعه في العالي هناك بعيدا في الجبال حيث سيكون أفضل لها كأطلالة وكهدوء وكهواء

وتستطيع كل يوم الذهاب إليها وتأخذ معك خاروف أو خاروفان ليرعوا بقربها ثم بعد أن يكبروا نقدهم تذكارا لها للفقراء

وخلال عشرين عام وإلى الآن سار كل شيء على مايرام حتى ظهرت أنت الآن

قالت له بعد تطويل بالها عليه حتى ينتهي من كل هذا الكلام وقالت له: ولكن إلى الآن لم تجاوبني على السؤال الذي يهمني أنا لماذا أنا الذي غيرت له كل هذه السنوات

قام من مكانه واتجه إلى إحدى الخزانات وسحب جارورا فيها وأخرج شيئا سميكا يشبه الكتاب ومسح عنه الغبار وفتحه وبدأ بتقليب الصفحات فيه حتى استقر على إحداهن وأخرج من تلك الصفحة صورة قديمة من أيام الأسود والأبيض وقدمها لأم الساك

نظرت أم الساك إلى الصورة وقامت واقفة على الأقدام فقد ارتعبت من هول الصدمة ومن هول مارأته في تلك اللحظة بالذات

أنها صورتها هي بالذات ولكن كيف وصلت إلى درج هذا الكاهن وهنا بالذات

قال لها خوري القرية هذه ليست صورتك هذه صورة التي كان آرا يحبها وهنا سر كل القصة التي تبحثي فيها عن الجواب

خرجت تساخ من عنده واتجهت راكضة باتجاه السهول والجبال لاتعرف ماذا تفعل ركضت ركضت كثيرا حتى أعياها التعب ووقعت على الأرض وأخذت تجهش بالبكاء.....

يتبع.....

مضى وقت استراحة الغداء ولم تحضر تساخ

فقام آرا من مكانه وركب الحصان وترك كل شيء وراءه وطار به باتجاه القرية

وصل إلى داره فلم يجد أحدا هناك

ذهب إلى بيتها القديم فلم تكن هناك

بدأ يسئل كل من يراه أمامه إن كان قد رأى تساخ؟

أشارت له إحدى النساء أنها رأتها متجهة إلى بيت الخوري في طرف القرية هناك

طار بحصانه بذاك الإتجاه وسئل خوري القرية عنها فقال له: أتت لتسأل عن موضوعكما ولكنها غادرت هنا من زمان

طار هذه المرة صوابه وطار معه الحصان كان مثل المجنون يصرخ عليها بأعلى صوته حتى ملأ كل السهول والوديان

وغابت الشمس وبدأ يحل الظلام ولم يعد يعرف ماذا يفعل فعاد بأدراجه على مهل إلى القرية فوجد خرافه قد عادت إلى الدار وبدأ كلبه بالنباح مستقبلا إياه

دخل سريعا فوجد تساخ تعد له العشاء ركض باتجاهها وضمها في الأحضان

بادرته بالقول أين كنت فقد ذهبت متأخرة لعندك ولم أراك لا أنت ولا الحصان

قال لها: لم تأتي فخفت عليك وذهبت أبحث عنك في كل مكان

فضمته إلى صدرها فراح يبكي من كثرة الشوق إليها والحنان بعد هذا الفقدان

وبكت هي الأخرى على صدره بعد أن ضمها بذراعاه

فقد كانت تشكر الطبيعة التي أرسلتها له بدلا عن محبوبته التي كانت في يوم من الأيام

وإلى اللقاء.....

وقف أبو ساكو في طابور الإنتظار في السفارة الأرمنية باستوكهولم مع باقي الأرمن السوريين ينتظر تقديم الطلب بإسقاط جنسيته الأرمنية ليستطيع التقديم من جديد على طلب اللجوء في بلاد السويديات بعد أن رفض طلبه هناك

كانت أعداد الأرمن السوريين هناك تفوق العشرات وكان الدور ليستطيع تقديم طلب رفض الجنسية الأرمنية أعطوه أياه حتى شهر شباط وهو الآن في شهر كانون الأول ألفين وخمصطاش

وبعدها سينتظر حوالي ٦ أشهر حتى يتخلى عن هذا الجواز الذي لن يستطيع الحصول عليه بعد الآن

كان القانون الجديد الذي أصدرته حكومة السويد بقبول الأرمن السوريين كلاجئين إذا ماتخلوا عن جنسيتهم الأرمنية هو الحل الذي أنقذ كل الأرمن السوريين هناك فجميعهم يحملون الجنسية الأرمنية والتي وصلوا بها إلى هناك وأنكروها في آخر المطاف ولكن هذه الدول تحتفظ بالأسرار وتظهرها متى تشاء

وبهذه الطريقة أستطاع أبو الساك من الحصول مجددا على البقاء شرعا في تلك البلاد حتى تسقط جنسيته الأرمنية ويقدم من جديد طلب اللجوء هناك

وإلى اللقاء ياأصدقاء

وقفا تساخ وآرا بجانب بعضهما في باحة الكنيسة المطلة على كل ما من حولهما في صباح يوم الأحد السادس من شهر كانون الأول ألفين وخمصطاش ووجهما باتجاه الشرق

وكانت الدنيا مغطاة بالبياض من جراء ماسقط عليهامن ثلج فأصبح كل ما من حولها يشكل شاحط لفستان عرسها الأبيض

ووقف خوري القرية أمامهما يكللهما و التفت جموع الواقفين حولهما

كانت أكوام من الحطب اليابس قد كومت هنا وهناك و أضرم فيها النار لتبعث الدفء في المكان

وكانت الشمس في هذه الأثناء تشرق على آراتساخ ويظهر قرصها رويدا رويدا من خلف الجبال حتى بدت كقرص ذهبي توسط فيه وجه كاهنهما

أتلى عليهما صلاة قبولهما وباركهما بالزواج المقدس بعد أن حصل على ورقة طلاقها من زوجها السابق أبو الساك

كان كل من حولهما قد دعي للإحتفال معهما وأخبرتهم بفرمانها الخامس أنه اعتبارا من هذا الأحد وكل الأحدات طالما هي على قيد الحياة وأرض أرتساخ تغدق بالخيرات

فالكل مدعوون لأخذ خبزهم بدون أي مقايضات

تناولوا جميعا من خبز تساخ المنتج من خيرات آراتساخ والذي صار جسد للمسيح بالقداس

وشربوا جميعا من نبيذ آرا المنتج من خيرات آراتساخ والذي صار دما للمسيح بالقداس

ولم يعد آرا وتساخ بعد الآن جسدان بل جسد واحد ولم يعودا بأسمان بل بأسم واحد وهو آراتساخ

83

يوم السبت الواقع في 12-12-2015 كان مميزا لأطفال القرية جمعاء فقد دعتهم تساخ في هذا السبت بالذات لتشكيل عجينهم لعيد الميلاد ليعلقوه على شجرة الصنوبر التي تتوسط القرية هنيك

فصنعوا نجمة كبيرة وصنعوا طفلا له مزود وصنعوا له كل مايحيط به في مغارة الميلاد من خراف وحيوانات وأمه مريم ويوسف ورعيان وخبزت تساخ كل منتوجاتهم حتى أصابها الأحمرار

وذهبوا جميعا بعد الأنتهاء إلى الشجرة وصعدوا الصبيان عليها وعلقوا مابحوزتهم هناك فعلقوا النجمة في الأعلى

ووضعوا الطفل في مزوده عند أعلى الساق وعلقوا الباقي مابينهما

وكان آرا مع غنماته عند أسفل الشجرة يعزف على مزماره مقطوعة للميلاد

كانوا جميعا سعداء فقد شاركوا لأول مرة منذ سنين بالميلاد

وكانت الشجرة مغارة الميلاد وكانوا هم الميلاد

84

يوم الأثنين 14-12-2015

كانت القرية مع موعد مهم فسيزورها في هذا اليوم أحد المسؤولين من الأقليم للإطلاع على حاجات الناس وماهي الشكاوي والصعوبات وخاصة بالنسبة للسوريين الساكنين هنيك

وكانت تساخ في عداد الحاضرين تستمع لمايقوله هو ومايقولونه هناك وبقيت صامتة حتى النهاية فكل واحد كان يتكلم عن حاجته للمساعدات ومشاكله الشخصية ولم يتطرق أحد لأهم شيء تفتقده القرية وخاصة في هذه الأيام ألا وهو النت

كان طلب تساخ للنت في ذلك الأجتماع موضع استغراب من قبل الحاضرين من أهل قريتها وكانت عبارتهم في الرد عليها ماذا سنستفيد من النت خليهم يعطونا مساعدات

كانت المساعدات المقدمة لهذه القرية ولكل قرى الأقليم هي على نوعان مساعدات من قبل حكومة الأقليم ومساعدات من قبل متبرعين أرمن كأفراد باجتهاد شخصي

وكانت المساعدات من قبل المتبرعين الأفراد على ثلاثة أنواع

النوع الأول تقدم للعائلة بقرة مجانا لمدة سنة ثم تأخذ منهم البقرة ويترك لهم عجلها الذي ولدته في هذا العام ويستفيدون من حليبها وعلى العائلة إطعامها والعناية بها

النوع الثاني تعطى لكل عائلة مهما كان عددها مبلغ حوالي 50 دولار في الشهر

والنوع الثالث كان لكل فرد في العائلة يعطى مايعادل 10 دولار في الشهر

كان الأرمن السوريين لايفكرون سوى بالمساعدات وحجتهم في ذلك أنهم قادمين من بلد الحرب وقد خسروا كل شيء هناك وكانو دائما يضربون الجميع منية أنهم مقيمين في هذا الأقليم الذي لاأحد يطيق الإقامة فيه على الأطلاق

كان الشيء الوحيد الذي وعد به هذا المسؤول بتحقيقه وسجله مساعده في دفتر الطلبات هو طلب تساخ في وصول شبكة النت إلى هذا المكان

ما التغيير الذي ستحدثه شبكة النت في هذه القرية وكيف سيتعامل معها الجميع هذا ماسنتابعه في الأيام القادمة وعد للجميع

كان وصول النت إلى القرية قد أوصل بالقرية إلى كل العالم ونقل كل واحد فيها إلى العالم الذي يريده ووضعه فيه

فرغم الفقر الشديد أصبح في يد كل واحد من قاطنيها موبايله الخاص فيه وكانت شبكة التغطية تغطي كل القرية وبيوتها بالتقريب

كان أول ماصنعته تساخ أنها أنشئت صفحتها الخاصة على الفيسبوك وصورت بالفيديو وشرحت للجميع كيف يصنع الخبز من العجين إلى الخبيز

وأنشئت لها صفحة خاصة للبيزنسس طرحت فيها استعدادها لبيع الخبز للجميع فقد قررت أن تغزو سوق العمل بصناعتها للرغيف بعد أن استشعرت أن في قريتها وفي الجوار بنات كثيرات بحاجة للعمل والتنانير متوفرة لدى الجميع

فلقد قررت فتح فروع لها في كل مكان يطلب الخبز وما أكثر هذه الأمكنة على سطح هذه المعمورة المليئة بالجياع والعطاش إلى كل شيء

كانت العملة التي فرضتها تساخ للحصول على الرغيف هي 125 غرام من القمح أي مايعادل وزن الرغيف 125غرام زائد أجرة التصنيع التي هي 125 غرام قمح

فإذا أراد أحد ما أن يشتري واحد كغ من الخبز فعليه أن يدفع لها مقابله واحد كغ قمح + واحد كغ قمح مقابل التصنيع ويحصل على ثمانية أرغفة كل رغيف بقطر 75 سم وسماكة 0,1 سم

ووضعت ختمها على كل رغيف في منتصفه وهو عبارة عن دائرة بقطر 5 سم محفور فيها القديس كيفورك وهو يمتطي حصانه ويغرس رمحه في قلب التنين

وفتحت لها 100 تنور في قرى آراتساخ وكانت أعداد التنانير في كل قرية تنور لكل 100 شخص أي مايعادل تقريبا تنور لكل 20 عائلة وكل تنور يخبز في اليوم 25كغ طحين قمح بقشره أي الخبز المنتج لديها من النوع الأسمر

يقوم على العمل عليه اثنان من النساء لعجنه وخبزه في اليوم التالي

ومولت المشروع من القمح الذي لديها وهي كانت بحاجة لتمويل أول يوم فقط لأن هي حصلت على القمح اللازم لتاني يوم من المقايضة في نفس اليوم

وأمنت بذلك العمل لقرابة 200 إمراءة ولحاجة 2000 بيت من الخبز كل يوم

لم تكن تربح أي شيء من هذا العمل فهدفها هو منع استغلال الآخرين لهذه القرى فقد نزلت سعر كغ الخبز من 1,5 دولار إلى 0,75 دولار بهذه الطريقة و احتفظت كل العيل بقمحها الذي حصدته لمقايضته بخبزها اليومي وشجعت بذلك كل العيل على زراعة القمح في العام التالي

87

أنها ليلة الخامس من شهر كانون الثاني لعام 2016

وهي ليلة ميلاد المسيح عند الشعب الأرمني

قام آرا ومعه تساخ بجولتهما على بيوت القرية يقرعون الأبواب ويبشرون الجميع بولادة مخلصهم المسيح

كانت خرافه ترافقه مع مزماره الدودوكي

وكانت تساخ تحمل 40 رغيفا من الخبز المهموز بختمها تعطي لكل بيت رغيفا رمزا للجسد الجديد

كان كل بيت يبشروه تخرج منه الأطفال وتبقى معهم

وتجمعوا كلهم في نهاية جولتهم عند شجرة القرية

التي علقوا عليها خبزهم السبتي الذي كانت طيور القرية تقتات عليه طول الأسبوع

أشعلوا النار ورقصوا وغنوا وعملوا حول الشجرة حلقة بشرية تغلق وتفتح على أنغام دودوك آرا وغناء تساخ للجميع وكان الثلج يتساقط فوق الجميع

في نهاية هذه الليلة بعد أن عاد كل واحد منهم إلى بيته

كانت البشارة إلى تساخ أنها حامل فقد أعيتها الدوخة ولعية النفس والمراجعة كل حين

وتذكرت أعراض حملها الأول قبل خمس وعشرين عاما من السنين

وكل عام وأنتم جميعا بخير بميلاد السيد المسيح.....

جلس أبو الساك أسفل شجرة عيد الميلاد في محل معلمته بشمال بلاد السويديات يفك ماعُلق عليها من زينة فقد انتهى موسم الميلاد في مثل هذا اليوم الواقع في التاسع من شهر كانون الثاني لعام ألفين وصطاش

وكان يسترق النظر بين الفين والفينة ليلصلص على أفخاد معلمته الواقفة فوق كرسي لتستطيع أن تفك الزينة التي في أعلى الشجرة

كان كل همه أن يرى سروالها الداخلي وهي تمتطي بجسمها بين الفين والفينة

لم يستطع أبدا أن يخرج من دائرة تلف فيه كل مرة حول محور دورانه

هذا المحور الذي توسط مابين فخديه قد أدى به في النهاية إلى أن يكون عبدا لأمرأة لايعرف منها غير اللذة

مضى على وجوده عندها قرابة الأربع أشهر في كل يوم تخرجه وتودعه المستودع حسب حاجتها له وهو على قلبه أحلى من السكر لأنه لم يكن يستطيع أن يقول لا

لماكان حوله يتمحور

علم من السفارة الأرمنية في السويد أنه إذا أراد أن يتنازل عن جنسيته الأرمنية فعليه أن يذهب إلى أرمينيا لأن قرارا جديدا صدر من الحكومة الأرمنية يقول : غير مسموح التنازل عن الجنسية سوى في بلده بأرمينيا

أعاده هذا القرار إلى مستودع معلمته واعتبره هو الجنة بالذات

في شباط من عام 2016 ربطت تساخ عربية خشبية خلف حصانها الأبيض وحملت فيها غراسها من الزيتون على عشرة نقلات كل نقلة فيها مائة غرسة وتعاونت هي وآرا وأطفال القرية في زراعتها على مدة عشرة أيام خلال عطلة الأولاد أيام السبت والأحد

زرعتها جميعا في حصة أبو الساك ألف غرسة بالتمام والكمال بين كل غرسة وغرسة عشرة أمتار فهذه أرضه وهي تنتظره بالحب والسلام بزيتونها رمز السلام

كان الأطفال فرحين بهذا الإنجاز

إنهم رجال أرمينيا الغد الذين سيزرعون منذ الآن وصاعدا مليون ونصف شجرة زيتون في كل أرمينيا تذكارا لكل روح من أرواح شهدائها الأبرياء الذين قضوا قبل مائة عام ليوصلوا رسالتهم لكل الأجيال أننا نحن أرمن على هذه الرقعة من الأرض منذ البدء وغيرالمسيح لانرضى معلما لنا لأنه هو قوتنا لنمتطي حصاننا الأبيض لنقتل به كل قيايين هذه الحياة

إنها أرمينيا أول أمة في العالم اعتنقت المسيحية ومازالت إلى الآن

في الخامس والعشرين من شهر آب لعام 2016 والمصادف لعيد القديسة آنا شفيعة قريتها في بلاد الشام تضع تساخ مولودها الذكر بتمام الصحة والكمال

وتلده في وسط حقل قمحها الذي علت سنابله وانحنت من كثرة ووفرة الخيرفيها

كان يركع بجانبها آرا الذي أمسك بيدها وهي تشد عليها أثناء الطلق

ويساعدها في ولادتها كل النساء اللواتي كنّ معهما في الحصاد

التفت حولهما خرافهما

وحصانهما الأبيض

مستغلين إنشغال الجميع

وراحوا يقضمون سنابل القمح الطرية حلواناً

بقدوم المولود الجديد كيفورك

الخاتمة

إنه كيفورك

بطل الأسطورة الشعبية في كل تقاليد وتراث الشعوب البشرية ويختلف اسمه من منطقة جغرافية إلى أخرى ففي منطقة أرمينيا وجورجيا وروسيا اسمه كيفورك وفي الحضارة اليونانية اسمه جرجيوس وفي بلاد المشرق اسمه جرجس وعند الإسلام اسمه الخضر وفي بلاد النيل اسمه العباس

وهو البطل الشعبي الذي قتل التنين الذي كان يسد منفذ الماء الوحيد حيث كان يقبع دائما في باب المغارة عند مخرج المياه ويمنعه عن أهل المنطقة التي تشرب من هذا النبع ولايسمح بمرور الماء إلا بعد تقديم الأهالي له ضحية حيوانية ليتغذى عليها وبعد فترة من الزمان لم يعد يرضى بالأضحية الحيوانية وصار يطلب أضحية بشرية وبعد ذلك صار شرطه في كل مرة أن يقدم له أجمل فتاة في كل المنطقة وبموت التنين على يد هذا البطل الشعبي تتحرر المياه وتخرج مندفعة لتروي كل العطشانين وهذه المياه التي هي مصدر الحياة تصل لكل المحتاجين ولاتميز بين غني وفقير فالكل بالنسبة لها واحد وهي بمتناول الجميع ولكن القرار النهائي يعود لك في

أن ترتوي من هذه المياه المتدفقة التي أزاحت عنها التنين أو تبقى عطشانا للماء المحبوس خلف التنين

أن تتحرر مثلك مثل هذه المياه المتدفقة التي قبلت أن يموت التنين أو تبقى مثلك مثل تلك المياه الراكدة التي تخاف أن يموت التنين

في أن تولد كل يوم من جديد مثلك مثل هذه المياه المتدفقة من جوف الأرض لأنه مات التنين أو تبقى محبوس في جوف الأرض مثلك مثل تلك المياه خلف التنين

إن عائلة الساك هذه هي تمثل كل واحد منا أي اثنان في واحد في مصارعته اليومية ضد التنين لأنك إذا لم تقتل أنت التنين

ستبقى دائما عطشانا وسيأخذ منك التنين أجمل مالديك

إن التنين يربص في مغارة فمك ويمنع قطراتك الحقيقة التي هي كلماتك من الخروج من نبعك

لترتوي منها وتروي العطشانين

فلم يعد بعد هذه الرواية أي معنى للتصنيفات والتقسيمات السابقة بين بني البشر والقائمة لحد الان مابين الغني والفقير ما بين من يملك السلطة وفاقدها مابين السيد والعبد مابين دين ودين مابين أبيض وأسود مابين رئيس ومرؤوس ما بين صاحب شهادات عليا و أمي مابين معاق وسليم ما بين صحيح وعليل ما بين سجين وطليق ما بين جميل وقبيح ما بين كبير وصغير ما بين مكان ومكان والأهم من كل ذلك في الأخير

ما بين رجل وأمراءة

فبعد هذه الرواية هناك تصنيف واحد فقط ألا وهو

ناس ركبت حصانها الأبيض الذي بدخلها وقتلت التنين

وناس ركبها حصانها الأبيض الذي بداخلها وقتلها التنين

والسر يكمن أنك أنت لاتستطيع أن تركب حصانك الأبيض

إلا بقوة المسيح

يرفان في 24-4-2015

في الذكرى المؤية الأولى للتغريبة والمذبحة الأرمنية

عبدالله نظليان

تمت